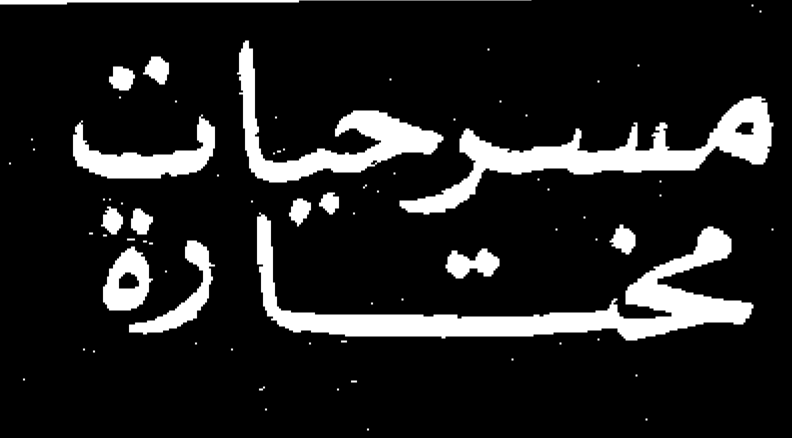




من الوجودية إلى العبث

مسرحيتان ودراستان

لا مفــــر

للكاتب الوجودي: چان بول سارتر

الأيـام السعيدة

للكاتب العبثي صمويل بيكيت

ترجمة وتقديم: جلال العشرى

مراجعة: د. أمين العيوطى



اهداءات ٢٠٠١

ا.صلاح راتب

القاهرة

مسرحيات مختارة

من الوجودية إلى العبث

مسرحيتان ودراستان

لا مفـــــــــر

للكاتب الوجودى : چان پول سارتر

الأيـــام السعيدة

للكاتب العبثى صمويل بيكيت

ترجمة وتقديم : جلال العشرى

مراجعة : د. أمين العيوط.

لا مفـــــر

للكاتب الوجودي: چان پول سارتر

هذا الكاتب الوجودى ..
وهذه المسرحية الواقفية !

« بنفس الحجارة نســتطيع أن نبني للحرية قبرا ، ونستطيع أن نشيد لها معبدا .

ان نعم هي الحلم ، ولا هي اليقظة .. وقد آن لنا ان نعرف ، هل نريد ان نستيقظ او ننام »

جان بول سارتر

● عندما يتحدى الانسان انســانا مثله ، فهــو الآخر انسان ، فاذا تحدى اله ، فهو أكثر من انسان ، انه بطل .. بطل لانه استطاع أن يعلو على نفسه وعلى الآخرين ، وبطل لانه استطاع أن يتخذ لنفسه موقفا ،

وهو بطل وجودي لأن وجوده رهن بهذا الموقف ، وهو بطل درامي ، لانه يصارع قوة أكبر منه .. لا القدر الذي كان يصارعه البطل الاغريقي ، ولا الطبيعة التي كان يصارعها بطل عصر النهضة ، ولا المجتمع الذي كان يصارعه بطل العصر الحديث ، بل الآلهة .. كائنة ماكانت هذه الآلهة .

وهو يصارعها بقوة وبلا حياء ، لانه يعلم جيدا أنها من فصيلة غير فصيلته ، وماكان كذلك فهو طارىء ودخيل ، هو أجنبي وغريب ، هو ليس منا ولابد أن ينفصل عنا في وقت قريب أو بعيد .. فعالم الانسان من صنعه . وماليضاف الى الانسان ، فهو غير موجود على الأقل بالنسبة الى الانسان !

ومثل هذا الموقف الذي اتخذه سارتر ، ماكان يمكن أن يقع الا بفضل الحرية الانسانية ، ومن اجل الحرية الانسانية ، فعند سارتر أن الحرية هي اغلى قيمة في حياة الانسان ، ان لم تكن هي وحياته شيء واحد ، أو هما وجهان لشيء واحد ، فالانسان قد ترك انفسه ، ووجوده قد أودع بين يديه ، وماحريته سوى تلك القدرة الذاتية على تكوين نفسه ، واختيار أسلوبه في الحياة .

من هنا كان الانسان في صميمه حرية ، وكان وجوده هو عين حريته ، ومن هنا كان الانسان محكوما عليه بالحرية ، وكانت حريته هي الشيء الوحيد الذي ليست له الحرية في أن يتخلى عنه .

وسارتر هنا وهناك ، انما يتخذ من القضية التى اثارها دستويفسكى قاعدة لاطلاق هذه الاقوال الصاروخية ، وهي القضية القائلة بأنه اذا انتفى وجود الآلهة أصبح كل شيء جائزا ، والتى أضاف اليها سارتر قوله انه حتى اذا كانت الآلهة موجودة ، فلن تغير من أمر الانسان شيئا .

وتلك ثورة فى عالم الفلسفة ، ثورة لاتقل فى تملصها وخطر نتائجها عن تلك الثورة التى أحدثها ماركس فى عالم الاقتصاد، وفرويد فى علم النفس، وداروين فى علم الحياة . لانه بظهور سارتر على مسرح الفلسفة لم يعد لمشكلة معرفة هل الاله موجودا أو غير موجود اية أهمية على الاطلاق ، مهما كان حل هذه المشكلة ، المهم أن يكون الانسان حرا ، والا يصدر فى أفعاله الا عن الحرية . ومادام الانسان يصنع قدره بيده ، وبيده يشكل مستقبله بل ويشكل ماضيه ، فهو عندما يحس وعندما يفكروعندما يريد لايصدر عن قيمة من القيم التقليدية ، ولايتلقى عن اله دين من الاديان ، لانه قد تحرر تحررا كاملا من سلطان كل قيمة مهما كان مصدرها، ولأنه بمحض حريته قد خلق لنفسه قيما أخرى جديدة .

ومن ثم فالانسان فى الوقت الذى يكون فيه حرا كل هذه الحرية ، يكون مسئولا مسئولية لاتقل عمايتمتع به من حرية ، فعلى قدر ماتكون الحرية تكون المسئولية، لان الانسان عندما يفعل لايفعل لنفسه فحسب ، وانما

هو يشرع للانسانية كلها ، ويشعر فى الوقت نفسه بأنه مسئول مسئولية كلية شاملة ، وهذا هو معنى قول سارتر :

« اننى مسئول عن كل شيء ، ومسئوليتى تمتد حتى الى تلك الحرب التى اشتركت فيها كما لو كنت أنا الذى أعلنتها » .

وعلى ذلك ، فان زعيم الوجودية المعاصرة عندما يقول ان الانسان مسئول عن نفسه ، لايعنى أنه مسئول عن فرديته فحسب ، وانما يعنى انه مسئول عن الناس جميعا ، بمعنى ان كلا منا كما يقول عنوان رواية سيمون دى بوفوار مسئول عن «دم الآخرين» !

وماكادت هذه الفلسفة تطفو على سطح الفكر الاوروبى حتى توالت عليها الهجمات من كل جانب ، هاجمتها المنظمات الفكرية ، كما هاجمها الافراد الذين لاينتمون الى تنظيم فكرى بعينه أو الى جهاز ثقافى بالذات . وربما كانت أعنف الهجمات التى وجهت الى الوجودية ، تلك التى وجهها الماركسيون فعند هؤلاء ان الوجودية تحصر الانسان فى وجوده الفردى فتعزله عن العالم وتبعده عن التضامن البشرى .. الا أن الوجودية بانطلاقها من الذاتية الخالصة أو من الكوجيتو الديكارتي « أنا أفكر » تجعل الانسان يدور حول ذاته ، ويظل يدور دون أن يخرج من ذاته ليلتقى بالآخرين .. ومن ثم فالوجودية فى رأى الماركسيين فلسفة تأملية

خالصة . فلسفة تعبر عن الترفا لبورجوازى الرخيص، والفردية الرجعية التى تتنافى مع النظام الجديد فى العالم .

أما المسيحيون فيرون أن الوجودية فلسفة يأس وتشاؤم ، أو فلسفة حصر وقنوط ، لانها بتجريدها الانسان من كل أمل فى الحياة ومن كل قاعدة للعمل . وباستخفافها بكل قيمة ابدية خالدة ، وبتشديدها على كل ماهو قذر ودنىء فى حياة الانسان ، بهذا كله وبكثير غيره ، تجعل الوجودية من العمل شيئا مستحيلا بالنسبة الى الانسان الذى يركن الى حال من الهدوء الحزين .. فيه يمارس الكسل ويستعذبه ، وفيه يظل يتسكع على حائط الوجود والزمن .

والحقيقة أن كلا من الماركسي والمسيحي لايستطيع احتمال ماتؤكده الوجودية من حرية كاملة أو حرية خالصة ، لان كلا منهما اعتاد أن تكون له عقيدة دينية أو ثورية ، عقيدة يستوحيها من الكنيسة أو يتلقاها من الحزب ، عقيدة تنظم له مستقبله كما نظمت له ماضيه ، عقيدة تكون بالنسبة له «كالشماعة» التى يعلق عليها مخاوفه وهمومه فتريحه من عناء التفكير . أما الوجودية، تلك الفلسفة الكريهة المزعجة ، فانها تخدش حياء الكون وتعري الحياة من كل معنى، وهي فلسفة لايطيقها الانسان المنتظم ، الانسان المتهذب ، الانسان الواقف فى الصف لانها تعطيه حرية الاختيار ، وتحمله تبعة اختياره ،

فتكون أفعاله بمثابة قرارات ليس لهـا ضـــمان دينى ولا رصيد اجتماعي .

ومع هذا فربما كان أبلغ دفاع عن الوجـودية هـو هذا الدفاع الذى يأتيها من الخارج لا من الداخل ، أعنى من الظروف البيئية والتاريخية التى اســتدعت قيام هذه الفلسفة ، ففى الحرب العالمية الثانية عندما احتل الالمان فرنسا وأسقطوا باريس وأذاقوا الشعب الفرنسى الوان الاهانة وصنوف الاذلال ، كان لابد لجماعة المثقفين باعتبارهم الناس الذين لهم ريادة التنوير والتحـرير ، والذين لهم فى الحياة آمال جديدة واسباب جديدة ، كان لابد لهم أن يصدروا قرارا وأن يتخــذوا موقفاً ، والا صارت حكمتهم جنونا ، وثقافتهم ثرثرة ، واقوالهم لغطا وهراء ، وبالفعل أجمعت الطلائع الثقافية الرائدة على مقاومة العدو .. مقاومته بالكلمة والسلاح .. ومقاومته حتى آخر قطرة من دمائهم ، وآخر فكرة فى رؤوسهم ، واشترك سارتر فى الكفاح فأسهم فى قيادة المعركة بشجاعة وذكاء نادرين .

وكان لهذا الموقف البطولى الرائـع فى الدفاع عن الحرية وعن القيمة الانسانية ، وفى الحملة على النازية وعلى القوى الغاشمة ، وفى الارتباط بقضايا العصر ووخز الضمير العالمى ، كان لهذا الموقف السارترى الباســل اكبر الاثر فى تحرير باريس وفى ظهور الفلسفة الوجودية ... فالوجودية فلسفة ازمة وموقف ، فلسـفة عمـل

ونضال ، فلسفة تمثلت فيها اهم قضايا العصر فى أبعاده النفسية الباطنة ، واتجاهاته الانسانية العامة ، كما انها فلسفة استطاعت ان تحرر باريس ، وأن تهيب بالعالم كله خارج فرنسا أن يواصل انتصاره من أجل تحرير الانسان :

« ايتها العصور ! هذا عصرى معزولا مشوها ،وهو المتهم امامكم ، ان موكلى يبقر بطنه بيديه ، وهذا الذى تحسبونه عصارة حيوية بيضاء ، ليس سوى دم خلا من الكريات الحمراء ، اذ المتهم يموت ، ولكنى أفضى اليكم بسر ما بجسده من خروق كثيرة .. كان يمكن أن يكون العصر طيبا لو أن الانسان لم يتربص به عدوه القاسى اللدود ، عدوه الضارى الذى ينصب له الفخاخ، الحيوان الخبيث الذى لا شعر على جسده : الا وهو الانسان !» .

وقد بدأ العصر يشعر بمحنة أزمة الضمير ، ويردد كلمات سارتر ، ويؤكد أن التحرر من المسئولية لايكفى له أن يشعر القرن العشرون بالخزى أمام المأساة الانسانية الكبرى ، ولكن ذلك هو أقصى مايستطاع تسجيله للعصر من تقدم يفوق به سابقيه من العصور ، وهو فى ذات الوقت غاية مايستطيعه الشرفاء من أبنائه ممن لم يتجردوا من آثامه رغم كل شيء ، واذا كان سارتر قد وصف أزمة الضمير العالمى من خلال موقف أقرب الى اليأس منه الى الرجاء ، فعنده أن الوعى الصادق بالموقف حتى فى أحلك

حالاته وأبشعها شرا ، هو أولى خطوات التحكم فيه ، وبالتالى الخلاص منه ، اسمعه يقول على لسان أحد أبطاله :

« أجيبى اذن أيتها الاجيال ؟ القرن الثلاثون لايجيب ، ربما لاتوجد قرون بعد قروننا ، وربما تطفأ قذيفة الأضواء فيموت الجميع ، فلا عيون ولا قضاة ولا زمن ، ظلام . فيامحكمة الظلام ؟ انت التى كنت وتكونين وستكونين ، أنا قد كنت .. قد كنت .. أنا «فرانتز فون جر لاش» كنت هنا فى هذه الغرفة ، واخذت على عاتقى تبعة العصر ، وقلت : انا الذى سيدافع عنه حتى الرمق الاخير ! » .

ولما كانت الفلسفة الوجودية فلسفة مواقف ، كان لابد للادب الوجودى أن يكون هو الآخر أدب مواقف ، ومصطلح «الموقف» من أكثر المصطلحات الفلسفية شيوعا فى العصر الحديث ، والفضل فى شيوعه راجع الى كتاب سارتر المسمى «مواقف» !

يقول سارتر فى نهاية الجزء الثانى من هذا الكتاب : « الابطال حريات أخذت فى الفخ ، مثلنا جميعا ، فما المخرج ؟ ان كل شخصية لن تكون سوى اختيار مخرج ، ولن تساوى أكثر من المخرج الذى تختار ، ونتمنى أن يصير المسرح كله خلقيا وجدليا مثل هذا المسرح الجديد أى يصير أدب اخلاق لا أدب مواعظ» .

والموقف هو علاقة الانسان بمكونات الاطار الذى

يعيش فيه ، وبالناس والاشياء ، فهؤلاء جميعا أجانب بالنسبة الى الانسان ، ومن ثم فهم عوائق فى سبيل تحقيق حريته ، عوائق لابد له أن يقاومها حتى يتمكن من ترجمة هذه الحرية الى اقوال وافعال. وفى هذه المقاومة يولد الصراع ، وفى الصراع تتاح الفرصة أمام الانسان لكى يوجد . ولكى يعلن عن وجوده : فالانسان بوجوده فى حالة ما ، وبتجاوزه هذه الحالة ، يحقق وجوده ، لان الوجود الانسانى المشروع ، الوجود الانسانى على الحقيقة . الوجود الإنسانى وكفى ، ما هو الا وجود فى موقف ، وجود يحس بماهيته ، ويلتزم بها أمام الناس والاشياء جميعا !

والالتزام بالموقف او فى الموقف يستتبع ادراك قيم انسانية جديدة ، واسباب انسانية جديدة ، لانه من خلال هذا الادراك يعلو الانسان على موقفه ، ويتجاوزه الى ماهو افضل ، ولايتوافر ذلك للانسان الا اذا كان عنده من الوعى مايكفى لكى ينخرط فى سلك بلاده فيكون ثائرا لبلاده وببلاده ، متضامنا فى ثورته مع مجموعة الشعوب البشرية ، فكل ماينتمى الى نفس النوع له قيمة انسانية كما يقول آرثر ميللر !

وهكذا يضفى سارتر على فلسفة الموقف بعدا اخلاقيا جديدا ، وذلك من خلال تفرقته بين الموقف المشروع والموقف اللامشروع ، فالموقف المشروع ينبغى الا يوغل فى الوهم فينتزع الانسان من ارض الواقع ، وينبغى

الا نهبط الى حضيض السلبية فيشله عن التفكير والفعل وهذا معناه التزام الكاتب بأن يتصرف بحيث تكافح شخصياته الحرة فى سبيل نجاتها من مأزقها ، باختيارها مايتفق والارادة الحرة . وهذا ماعبر عنه سارتر فى تقديمه لمجلته الشهيرة : «العصور الحديثة» عام ١٩٤٥ بقوله :

((فى بعض المواقف لا مكان الا لتبادل حدين أحدهما الموت ، ويجب على الانسان ان يتصرف بحيث يستطيع فى كل حالة أن يختار الحياة)) !

فالحريات اذن قوى متعالية ، يحقق أصحابها وجودهم من خلالها ، كما يشاركون عن طريقها فى تحقيق المواقف الانسانية ، وبهذا يكون الادب بمثابة الضمير الحر للمجتمع ، والوطن ، والانسانية جمعاء .

وتأسيسا على هذا يقول سارتر فى العلاقة بين المسرح والموقف ، وبين الموضوع المسرحى واتجاه العصر :
((اذا كان الانسان حقا حرا فى موقف خاص ، واذا كان يختار نفسه عن حرية فى موقف خاص ، بمعنى أنه يختار نفسه فى الموقف ، وعن طريق الموقف ، كان علينا أن نعرض فى المسرح مواقف بسيطة وانسانية ، وحريات تختار نفسها فى مواقف . وابلغ مايعرضه المسرح تأثيرا هو عرض شخصية فى طريق تكوين نفسها، فى لحظة الاختيار ، عن قرار حر يرتبط به نوع من الخلق والحياة)) .

وهـذا معناه أن الكاتب المسرحي لم يعـد يهمه الاسـتغراق فى أبعـاد الشخصيات النفسية لاستكمال الصورة ، بل أن يقتصر على تصوير هذه الابعاد فيمـا يخص الموقف ، فيجلوه بشخصياته من مختلف نواحيه، وهذا هو الذى يلغى من المسرحية معنى البطولة أو فكرة البطل ، فلا بطل فى المسرحية لان كل الشخصيات سواء فى مجابهة موقفها العام ، وكل سلوك فيها له تبريره فى الكشف عن جانب بعينه من جوانب هذا الموقف ، وهذا هو الفارق بين مسرح المواقف ومسرح الشخصات، وهو ما أوضحه سارتر بقوله :

« كان المسرح فيمـا مضى مسرح تحليـل نفسى للشخصيات ، فكانت تعرض على المسرح شـخصيات تزيد فى تعقيدها أو تنقص ، ولكنها تعرض عرضا تاما فى حياتهـا ، ولم يكن للمـؤلف دور الا فى وضـع هـذه الشخصيات بعضـها مع بعض ، مـع بيـان كيف يتم التحرير فى حيـاة كل شـخصية بتـأثير الشـخصيات الاخرى ، وقد بينت كيف حـدثت تغيرات هامة منـذ قليل فى هذا المجال ، فقد عاد كثير من الكتاب الى مسرح المواقف ، ولم يبق مجال لمسرح تحليل الشخصيات» .

وهكذا نجد أن كل جهود سارتر الدرامية تتجه لا الى تصوير نماذج كلاسيكية .. اجتماعية أو تاريخية، كما كان الحال عند موليير وراسين اللذين قدما لنـا

نماذج البخيل والكذاب ، والعاشق والخائن ، بل الى تصوير شخصيات فى «موقف» ، شخصيات توجد وتتطور على مستوى ديناميكى ، شخصيات تخلقهاطبيعة الموقف لا تقاليد المسرح !

وعلاوة على ذلك ، فان المسرحية الوجودية تختلف عن المسرحية الكلاسيكية فى أن الموقف فيها ليس ازمة أحداث درامية ، بل أزمة ذهنية خالصة . اى ان المسرحية لاتحتوى على عدد من الاحداث الدرامية المثيرة التى تهز وجدان المتفرج ، بل تصور موقفا تجمعت خيوطه على نحو يجعل منه أزمة من ازمات السلوك البشرى ، قل أزمة ضمير أو أزمة مصير ، او أزمة قضية ، المهم انها ازمة تستحث المتفرج على التفكير وتضعه فوق سطح صفيح ساخن ، فوق سطح الموقف !

★ و «الذباب» هو عنوان اشهر مسرحية كتبها سارتر ، وأكثر مسرحياته وفاء بآرائه الفلسفية وفنه الدرامى . فالى جانب الروعة فى طرح قضايا تتصل بالمشكلات العصرية بعامة ، والسياسية منها على وجه الخصوص ، هناك البراعة فى ايراد الحوار وادارة الشخصيات ، والاستاذية فى تحويل الفكر الى نوع من السلوك مع الاحتفاظ للمسرحية بقيمتها الدرامية ، وان تكن مسرحية ذهنية أو مسرحية موقف . ثم هناك الوفاء لنظرية الالتزام فيما يتعلق بشكل العمل الفنى . .

فلا فصل بين الشكل والمضمون ، وانما هما معا لانه لا وجود لاحدهما بمعزل عن الآخر ، فلاقيمة لشكل من حيث هو شكل ، ولا قيمة لجمال ليس له مضمون اجتماعى ، ومن ثم فالاسلوب ماهو الا وسيلة يتوسل بها وليس غاية تقصد لذاتها ، ومن غير أن يكون فى ذلك خيانة لضمير الكاتب ، ومن غير أن يصير أدبه بوقا من أبواق الدعاية !

والتعديل الذى أدخله سارتر على الاسطورة الاغريقية القديمة ، كان حقا تعديلا عجيبا يختلف كل الاختلاف عن التعديلات المعتادة ، فمسرحية «الذباب» ليست مجرد ترديد للمسرحية القديمة بعد أن صبت فى قالب عصرى حساس ، وعولجت معالجة فنية حديثة، كما فعل جان جيرودو فى مسرحية «الكترا» ولا هى ترديد للقصة فى وضع عصرى جديد ، وبيئة سيكلوجية جديدة كما فعل أو يفعل فى مسرحية «الحداد يليق بالكترا» ، ولا هى احلال لقصة قديمة فى صياغة سيريالية معاصرة كما فعل جان كوكتو فى مسرحية «الآله الجهنمية» ، وانما هى شيء يختلف عن هذا كله ، شيء بلغ من الاتقان والاحكام ماالضطر معه سارتر الى اعادة بناء القصة فى كثير من المواضع .

وكم يحلو للانسان أن يقارن بين مسرحية «الذباب» لسارتر ، وبين «اجمونت» لجيته ، أو «وليم تل» لشيلر ، فهنا مسرحية تهيب بالانسان أن

يواصل انتصاره من أجل الحرية ، ومن أجل مقاومة العدو ، ومن أجل الاطاحة بالمستعمر الاجنبى ، حقـ ما أروع جرأة «أورست» الداعى الى التحرير .

وخلاصة هذه المسرحية ان جاز التلخيص أن «أورست» البطل الاغريقى القديم ، الذى يتحول عند سارتر الى بطل وجودى ، يتفق مع أخته «الكترا» كما تقول الاسطورة ، على قتل أمهما الملكة «كليتمنسترا» وعشيقها الملك غير الشرعى «ايجست» جزاء ما اقترفا من قتل والدهما الملك العظيم الشبيه بالآلهة « اجاممنون » .

فعندما عاد الاخير من حرب طروادة ظافرا ، أعد له الآثمان كأس الخيانة والغدر ، بدلا من كأس النصر والفخار ، فقتلاه كما تقتل الحشرة أو كما يذبح الحيوان، وهكذا خلا لهما الجو لكى يكرعا لذات الحب الآثم فوق سرير الخيانة والطعان ، ولكى لاينغص «أورست» عليهما حياتهما القيا به خارج المدينة عسى أن تلتهمه وحوش الغابة أو سباع الطير . إما أخته «الكترا» فيستبقيانها خادمة فى القصر .

ويكبر أورست ويغدو شابا قوى البنيان ، عظيم الثقافة ، عالما بقصته ، راغبا فى أن يثأر لأبيه :

« واليوم ها أنت شاب ذو يسار وجمال ، محنك كالشيوخ ، حر من كل عبودية وكل اعتقاد ، لا أهل ولا وطن ولا دين ولا مهنة ، حر فى أن تلتزم بما شئت

عليم بأنه لاينبغى للانسان ان يلتزم بشىء قط » .

ويعود من منفاه ويتعرف على أخته عندما جاءت الى قبر ابيها تقدم لروحه القربان ، وعند هذا القبر .. قبر أبيهمـا العظيم .. يتفقـان على أن ينتقما لأبيهما ويثأرا له مهما كلفهما ذلك من مشـقة وعنـاء ، ويفى «أورست» بوعده فيقتل «ايجست» .. يطعنه ويتركه مجندلا فى غرفته والسيف غائر فى كبده ، ثم يتحول الى الملكة فيطعنها هى الاخرى ،ويتركها فاغرة الفم والعينين، وبذلك يموت عدواه ، وبموتهما يموت حقـده وان ظل سنين طوال يستمتع بلذة هذا الموت قبل أن يقع .

وهكذا يصيح «أورست» فى وجه أخته ، ويداه مضرجتان بالدماء : «انى حر يا الكترا ، وها هى الحرية تنقض على كما تنقض الصاعقة» .

وترد عليه «الكترا» : «حر ؟ أما أنا فلا أشعر بأنى حرة » .

ذلك لان أورست بعد أن تم له قتل أمه وعشيقها، لم تلاحقه آلهة الانتقام كما فى الاسطورة القديمة ، بل لاحقه ذباب الندم الذى هو فى مسرحية سـارتر بديل لهذه الآلهة . ولكن أورست لايعبأ بطنين هذا الذباب ، لأنه باعتباره بطلا وجوديا قـد تخلص مما يسـمونه الضمير ، وبالتالى مما يسمونه الندم ، واصبح يرى أن مافعله نابع من ذاته ، وصادر عن أعماق وجوده ، وأنه قد فعله بمحض تفكيره وارادته الحـرة ، ومن ثم فهـو

وحده المسئول عن فعله مسئولية كاملة ، « إلكترا .. فعلت مافعلت ولن أندم عليه ، ولا أرى من الخير الكلا فيه » :

اما الكترا فلأنها لم تصبح بعد وجودية كاملة فاننا نراها تخشى هذا الذباب الذى يحاصرها ويترصدها ويهبط عليها فى حجم النحل ، فينهش في عينيها ، ويطن فى أذنيها ، ويتركها فريسة لربات الندم ولهذا نراها تنهار وتثور فى وجه أخيها : «انها جريمتك .. جريمتك التى تنهش خدى ، وتنتزع جفونى متى يبدو لى ان عينى واضراسى أصبحت عارية » .

وهكذا نجد أن الندم ، والضمير ، وأمثال هذه الاشياء لم يعد لها مكان فى الدراما الوجودية الحديثة ؛ لأن أشياء أخرى غيرها قد حلت محلها ، أشياء من قبيل الحرية والمسئولية والموقف والاختيار ، ولهذا فان هذه المسرحية تبلغ ذروة روعتها فى هذا المشهد الذى يقع قرب النهاية ، والذى يدور بين البطل الوجودى «أورست» وبين «جوبيتر» كبير الآلهة ، حيث يقف الانسان موقف المعارضة من الآلهة :

أورست : ان كونك كله لايكفى لكى يشعرنى بالخطأ .
أنت ملك الآلهة ياجوبيتر ، ملك الحجارة ، والنجوم ، وأمواج البحر ، ولكنك لست ملكا على الانسان .

جوبيتر : لست ملكا عليك أنت أيها الحشرة الدنيئة الوقحة ، فمن الذى خلقك اذن ؟

اورست : أنت الذى خلقتنى ، ولكن كان يجب الا تخلقنى حرا .

جوبيتر : انما وهبتك الحرية لتخدمنى .

اورست : قد يكون هذا صحيحا ، ولكن هذه الحرية قد انقلبت ضدك ، فلا أنا ولا أنت نستطيع أن نغير من ذلك شيئا .

جوبيتر : واخيرا ، هذا هو العذر .

أورست : أنا لا أعتذر .

جوبيتر : وهل هذا صحيح ؟ اتعرف ان هذه الحرية التى تدعى أنك عبد لها تكاد أن تكون أعتذارا .

أورست : لست السيد ولا العبد .. وانما أنا الحرية، ما أن خلقتنى حتى خرجت عليك ، ولم يعد لك على سلطان .

وما أن يفرغ «أورست» من كلامه ، حتى يسارع الى مواجهة الجماهير فى جرأة وشجاعة ، هاتفا بانهم فى حل من كل الالتزامات التى فرضت عليهم جزاء جرمهم ، وبأنه وحده سيحمل عن المدينة كلها خطيئة قتل والده الملك .

وبعد أن يعفى «أورست» الناس من هذا الاثم لبضعه على كاهله هو ، يتلاشى الندم ويموت الذباب ؛ لأن حياة جديدة اشرقت على الضفة الاخرى من النهر،

وعلى الجانب الآخر من الجبال : «وداعا أيها النـاس وحاولوا أن تحيوا ، فكل ماهنا جديد ، وكل شيء قـد بدأ منذ البوم فحسب ، وحياتي أيضا قـد بـدأت ، ويالها من حياة غريبة» .

وتفسـير ذلك وجـوديا أن الحـرية التى عاناها اورست بقوله : «ذاتي حريتى» انما تتألف من سيطرته على دخيلة نفسه ، ومن معرفته لنفسه فى وقت واحد ، وهاتان هما الدعامتان اللتـان ترتبت عليهما المطالبـة بالحـرية السـياسية فى صورة التحرر من المسـتعمر الاجنبى ، والتطلع الى الانسان الجديد ، الذى يحيا فى البلد البعيد ، استمع الى «أورست» وهو يناجى أخته «الكترا» بعد ان تحررا :

اورست : اعطنى يدك ، سوف نذهب .

الكترا : الى اين ؟

اورست : لا ادرى ، سوف نذهب صـوب انفسـنا ، فعلى الضفة الاخرى من النهر ، وفى الجانب الآخر من الجبـال ، ينتظرنا أورست آخـر والكترا أخرى ، يجب الا نبحث عنهما فى جهد وأناة .

اى انه لم يعد لمشكلة سوى مشكلة الحرية أيـة أهمية على الاطلاق ، نعم ، فقد استطاع الفيلسوف أن يدير المعركة بحكمة ودهاء ، اسـتطاع ان يجعـل من مسرحيته لغما ينفجر فى جوف حكومة النازى ومنشورا ثوريا يوزع على جميع أهالى باريس ، وما أن يسـدل

الستار حتى تنطلق فى طول البلاد وعرضها نغمة جديدة تهيب بالانسان الفرنسى أن يخلع رداء الندم ، ويتخلص من الذباب ، أن يعتنق الحرية ويعمل على التحرر ، أن يردد فرحة البطل الوجودى «أورست» اذ يلتقى بأخته «الكترا» بعد غيبة خمسة عشر عاما ، لانها فى الحقيقة فرحة الكاتب سارتر اذ يعود من الاسر ليرتمى على صدر معبودته باريس :

« لقد ولى الليل وهذا مطلع الفجر ، ونحن حران يا الكترا ، يلوح لى انى وهبتك الميلاد وانى لم أولد الا معك ، انى احبك وانت لى ،وبالامس كنت وحيدا واليوم انت لى ، لقد ضاعف الدم توثيق عرانا ، لاننا من دم واحد ، وقد ارقنا دما » .

★ وسارتر على حق ، فان نظرة واحدة الى ماتعانيه الانسانية من ذعر وفزع ، ثم نظرة أخرى الى محنة الانسان ومحنة الحضارة ، ثم نظرة ثالثة وأخيرة الىعظم مسئوليتنا نحن أبناء هذا العصر ازاء المأساة الانسانية الكبرى ، تجعلنا جميعا نحس بجدية هذا الكلام ، وبأن مصير الانسانية كله معلق بخيط واه من الامل ، الامل فى الحرية ، والامل فى الانسان ، لاننا كما قال سارتر : «بنفس الحجارة نستطيع أن نبنى للحرية قبرا ؛ ونستطيع ان نشيد لها معبدا » .

على أنه اذا كانت هذه المسرحية بالنسبة لمسرح سارتر هى مسرحية «التحرير» التى فجر فيها الغام

لحـرية ، فان المسرحيـة التى تلت ذلك مباشرة هى مسرحية « التنوير » أو المسرحية التى تم فيهـا التحرر بالفعل ، ولذلك فاذا كانت مسرحية «الذباب» تحرير وانفعال ، فان مسرحية « لامفـر» تنوير وفعـل . المسرحية الاولى فيها مقاومة العدو وتحقيق النصر من الخـارج ، أما المسرحيـة الثانية ففيها مقاومة الذات وتطهير النفس من الداخل ، فالفرحة التى عمت باريس بعد تحريرها من الاحتلال النازى كانت فى حقيقتها هى فرحة النصر ، وماصاحب ذلك من فوضى الفرحـة أو فوضى الحرية ، لذلك كان لابد من تنظيم هذه الفرحة، وتهذيف تلك الحرية ، فاذا كنا قد حصلنا على حريتنا، فما الذى ينبغى أن نفعله بهذه الحرية ؟

ان التنوير يأتى بعـد التحرير .. تمـاما كما أن التعمير يجىء بعد التدمير ، ولكن أيجـوز للانسان أن يحكم على حياة انسان آخر من واقع عمل واحد ؟

هذا هو السؤال الذى يلقيـه « جارسـان » فى مسرحية سارتر الثانية ، لتجيب عليه «انييز» بقولها : «الاعمال وحدها هى التى تحدد كنه ماينشده الانسان، انك أنت حياتك ، ولاشىء غير هذا » .

وهكذا نجد أن «جارسان» فى مسرحية « لا مفر » يجىء بعد «أورست» فى مسرحية «الذباب» ليتم ما بدأه الآخر ، وليكون مصداقا لقول أورست : « ان الحياة الانسانية تبدأ على الجانب الآخر من الشعور باليأس» .

ولذلك كانت مسرحية « الذباب » هى ا
التى تمثل خلاص الشعب ، بمقـدار ماجاء
« لا مفر » لتمثل خلاص روح الانسان . و
ماقصد اليه جان بول سارتر قصداً ، حين
الحرية السياسية فى المسرحية الاولى وكأ
حرية سابقة عليها يعسر فهمها وادراكها و
عليه من اغوار .. انها حرية الذات ..
اذا كانت حالة «أورست» العقلية غير
وصفت بأنها غيبة رائعة ، فان حالته
هى بلاشك «منفى» والفرق بين الحالة
بنتلى ينم عن الوعى والدهاء .. الفر
الغائب ، وبين الرجل الحر المنفى ،
الرغم من منفاه مرتبط بالتزامات
الانسانى ، مجتمع الآخرين !

ومسرحية « لا مفر » تصف
يوما واحدا فقط نعرف منـــه
الايام ، ونعرف منه أيضا أن ا
لمن يدخله ، ولا مفر منـــه لكن
فتحت أبوابه على مصاريعها
وكما تصف لنا يوما واحـ
تدخل بنا حجرة واحدة فقط
بنا فى كل عرصات الجحيم

وهى تطرح علينا

★ اشخاص كلهم ابطال على قدم المساواة ، وهم جارسان واستيل واينيز ، يضاف اليهم أحد الزبانية يأتى بهم الواحد بعد الآخر الى مكانهم من الجحيم ، وبعد أن يزود كلا منهم بالتعليمات الواجب اتباعها يختفى الى النهاية ، يختفى تاركا وراءه هؤلاء الثلاثة ، وكل منهم يحاول أن يضع الخطة التى تكفل له السعادة مع واحد من الاثنين الآخرين .

ولكن .. عبثا يحاولون ، فكلما نشست علاقة بين أحدهم وأى من الاثنين الآخرين ، تدخل الثالث ليفض هذه العلاقة ، وليعودوا جميعا كما كانوا اشتاتا فرادى .. وفى النهاية يتضح لنا ولهم أن حشر ثلاثة اشخاص يجهل كل منهم الآخر فى حجرة واحدة ، وان بدا يسيرا فى أول الامر ، الا انه سرعان مايخلق جحيما أشد هولا من جحيم الاغلال ، وعذابا اشد قسوة من عذاب السعير . وهذا ما عبر عنه أحد هؤلاء الاشخاص الثلاثة بقوله : «كل واحد منا هو فى الواقع جلاد الاثنين الآخرين» .

ولكن .. من هم هؤلاء الاشخاص الثلاثة ؟
وما الذى جاء بهم الى الجحيم ؟

أولهم هو «جارسان» صحفى من دعاة السلام ، أعدم رميا بالرصاص اثناء محاولته الفرار من الخدمة العسكرية ، وهو منطو على ذاته يكثر من الانزواء ، ويقل

من الكلام ، ويدفن وجهه فى كفيه كلمــا اســتعاد ذكرى ماضيه الملطخ بالعار ، ولا أمل له فى هذا الجحيم الا أن تتركه المرأتان وشأنه ، فيخلو الى ذاته يحاسبها ، ويعيد الحساب عساه يجــد لذاته معنى فى كون خــلا من كل معنى .

اما ثانيتهم فهى العانس «اينيز» امرأة مسترجلة، تعزف عن الرجال ، وتتعشق النساء ، ولا أمل لها فى هذا الجحيم الا أن تطارد المرأة الوحيدة التى جمعتها بها الاقدار ..هنا فى هذه الحلقة المفرغة . ورغم انهــا امرأة دامية ودموية تكثر من الكلام عن المشانق والخناجر والقتل والاعدام ، فهى طيبة القلب تدرك انهــا ملعونة لكثرة ماجنت من خطايا ، ولكثرة خطاياها تعلم أنه قد اوصدت فى وجهها أبواب الغفران .

وأخيرا تجىء استيل .. امرأة لعوب ، باهــرة الجمال ملتهبة الشفاه ، ملتصقة بجسدها الى حـــد الهوس ، فكل ماكان يهمها فى الحيــاة ، وما يهمها الآن بعد الموت هو أن تروى هذا الجسد وتطفىء هذه الشفاه بقبلات الرجال ، ولذلك نراها تطارد الرجل الوحيــد بل الرجل الاوحد فى هذا المكان باحثة عن الحب ، باحثة عنه حتى ولو كان فوق عرصات الجحيم !

ولكن ما الذى جاء بهؤلاء الثــلاثة الى هـــذا المكان ؟

★ ما الذى حشرهم هنا فى هذا الجحيم ؟

استيل تقول : «انها مجرد الصـــدفة التى جمعت بيننا » أما اينيز فترى : « انهم قد رتبـوا كل شيء ، حتى أتفه التفاصيل رتبوها بعناية كاملة ، فهذه الغرفه كانت فى انتظارنا» وأما «جارســان» فيرى أن خطاياهم لابد أنها كانت متشابهة مما جمعهم هم الثلاثة فى مكان واحد ، وهكذا يعترف كل منهم لزميليه بالاثم الذى ارتكبه فاستحق من أجله هذا الجحيم !

أما «جارسان» فهـو أقلهم خطيئة فيما يبدو ، ولذلك فهو يتصرف كما لو كان أكثرهم بطولة ... ولكن الجرح الاليم فى حياته فيما عدا قصة فراره من المعركة والحكم عليه بالاعدام هو معاملته الحقيرة لزوجته الوفية. كان يرغمها على أن تأتيه بطعام الافطار وهو راقد مـع عشيقته فى الفراش ، وظل على هذا الحال طوال حياته، والمسكينة لاتشكو ولاتتوجع ، وانما تقيم على حبه فى الوقت الذى يقيم هو فيه على خيانتها ، وأمام عينيها ! لقد تمادى فى اهانتهـا وخيانتها تماما كمـــا يفعـل الجبناء !

ان «مشكلة «جارسان» تتلخص فى أنه يعتقد ان فراره ليس دليلا على الجبن ، وانمــا هـو دليل على الشـــجاعة ، لأنه فر بمحض اختياره ، ولانه يعلم ان الفرار أشق من القتال ، ولأنه اخيرا كان ينوى الرحيل



الى المكسيك لينشيء هناك صحيفة تندد بالحرب وتدعو الى السلام !

ان جحيم «جارسان» هو انه لايجد احدا يؤمن بشجاعته ، أحدا يقول له بصراحة وصدق انه ليس جبانا ، وهاهو يعرض قضيته على كل من المراتين :

أما اينيز «فتقول له : «ان الأفعال تحدد مايختاره الانسان .. وعليك أن تدفع الحساب ، فأنت حياتك ولا شيء آخر » . غير أن اينيز أيضا هى حياتها لا شيء آخر ، وحياتها هى حياة الشذوذ الجنسي والتشويه النفسي والخطيئة والخطأ فى وقت واحد ، فهى تنفر من الرجال ، وتعشق النساء ، وكانت تعيش مع ابن عمها ؛ فأفسدت عليه زوجته فلورانس ، وشجعتها على ان تهجره ، ولم يجد المسكين، ما يريحه من العذاب الا الترام الذى صدمه وقضى عليه فى الحال ، وظلت اينيز تحمل فلورانس مسئولية قتل زوجها ، وتلتذ بتعذيبها كل هذا العذاب ، حتى يئست من الحياة ، وذات ليلة فتحت فلورانس صنبور الغاز الذى ادى الى اختناق المراتين معا . وهاهى الآن تطارد استيل بعد الموت ، كما كانت تطارد فلورانس فى الحياة ، ولكن جحيمها أن استيل امرأة سوية وليست شاذة ، وهى تحتقرها كل الاحتقار ، ولاتهتم الا باغراء جارسان .

واستيل هذه امرأة باريسية بمعنى الكلمة ، امرأة لا هم لها الا الحب ، فهى متزوجة وعاشقة فى وقت

★

واحد ، تخون زوجها العجوز مع عشيقها «روجيه» وتنجب منه طفلة تلقي بها من النافذة أمام عينيه، فتؤدى هذه الحادثة بعشيقها الى الجنون ، ومن بعده الى الانتحار . ولاتجد استيل أمامها الا الفتى «بيير» الذى كان يجن بحبها جنونا غير عادي ، طالما عبر عنه بكلمات أقرب الى الشعر ، ولكنه الآن ، وبعد أن اكتشف حقيقتها انصرف الى الفتاة «أولجا» ذات الشعر الاحمر والجسد البدين ، وأخيرا تعيش استيل وحدها فى باريس بعد أن فقدت كل شيء ، طفلتها وعشيقها وزوجها وآخر المحبين ، وتظل فى وحدتها الى أن تموت لا من عذاب الضمير ، ولكن من الالتهاب الرئوى .

أن جحيم استيل الآن ، هو انها فى حاجة الى رجل ، فى حاجة الى جارسان ، ليكن مايكون أشجع الشجعان أو أجبن الجبناء ، المهم انها تريد رجلا ، وجارسان هو الرجل الوحيد والاخير فى هذا الجحيم !

وهكذا يدور الصراع فى هذه المسرحية ، يدور فى حلقة مفرغة ، اينيز تتعذب لاعراض استيل ، واستيل تتعذب لاعراض جارسان ، وجارسان يتعذب لاعراضه عن نفسه ، نفسه التى فقدها ، وعادت اليه الآن تحاسبه على فراره من المعركة . وعبثا يحاول جارسان أن يخرج من هذا الجحيم .. فالباب مفتوح ، ولا من حارس هنا أو سجان ، ولكن جارسان يؤثر البقاء

بمحض اختياره ، لأن الخروج معناه العدم . والعدم عند الوجوديين افظع من الجحيم !

وتلك هي ذروة الموقف الوجودي ، أو على حد تعبير سارتر «عذاب الانسان» ، فالحياة هي هذا الجحيم ، ولكن الفرار من الحياة هو العدم . والبطولة عند الوجوديين ليست في الفرار ولكنها في الاستمرار ، لانه كما قال اندريه مالرو : « اذا كانت الحياة لاتساوى شيئا ، فان شيئا لايساوى الحياة» !

وهذا هو ما أدركه البطل الوجودي «جارسان» تمام الادراك » فالحياة لابد لها من هذين العنصرين .. لابد لها من اينيز ، المرأة الصريحة الى درجة الوقاحة والحقارة ، والتي اختارها سارتر ليرمز بها الى ضمير الانسان ، ولابد لها أيضا من استيل المرأة الجميلة العابثة الى درجة الغواية والاستهتار ، والتي اختارها سارتر ليرمز بها الى ارادة الحياة في الانسان ، وهذان البعدان .. الضمير والارادة هما جناحا الموقف الوجودي وهما في الوقت ذاته الاداتان الاساسيتان في يد البطل الوجودي لفهم نفسه ، ولفهم العالم من حوله .

نعم .. ان مسرحية « لا مفر » كما لاحظ الناقد ريك بنتلي بحق ، انما هي مسرحية أخلاقية ، مسرحية تقوم على الشخصيات بمقتضى تعريف ارسطو من أن الشخصية هي مايكشف عن الهدف الاخلاقي مبينا ماهية الاشياء التي يختارها الانسان أو يرفضها ، فهي



تبين ماهية مااختاره هؤلاء الاشخاص الثلاثة ومارفضوه مما جر عليهم اللعنة الابدية ، وأدى بهم الى الجحيم !

ولكن .. ماهو الجحيم ؟!

« الجحيم هو الآخرون» على حد تعبير جارسان، هو أن يجد الانسان نفسهمع «الغير» وفى قلب «الموقف»، فالموقف كما سبق أن أسلفنا هو أهم اضـــافة قدمها الوجوديون الى المسرح ، وهو مااصبح علما وعلامة على مسرح جان بول سارتر .

ولا يفوت سارتر هنا فى هذه المسرحية ، أن يفجر جميع امكانيات هذا الموقف الوجودى ، وأن يستغلها الى حدها الاقصى ، فهو يضع رجـــلا فى الوسط بين امرأتين لكى يحقق المثلثالكلاسيكى الاثير لدى الفرنسيين من ناحية ، ولكى يجعل شخصياته الثلاث من ناحيــة أخرى مرايا عاكسة تعكس صــورا عــديدة لحـدث واحد .

ولقـد كتب الناقد الامريكى الشــهير « فرنسيس فرجسون « عن الحركة التجـديدية الرابعــة ، فقال : « اصبحنا نرى اليوم فى الاتجـاه الجـديد شـيئا من الخطورة والخطر ، وفى اعتقادى أنه لابد أن يضع الانسان فى مقابل براعة كوكتو المسرحية ، واتجاه اليوت الدينى، وصور لوراكا الشعبية ، لابد ان يضع فى مقابلها نظرية سارتر عن الموقفأو الحدثالذى يكون مشابها لكز والذى

يستطاع رؤيته من زوايا كثيرة» ومصداقا لقول فرنسيس فرجسون يمكننا أن نعود الى الجحيم لنراه مرة ثالثة من منظور ثالث ، فبعد الجحيم على مستوى الحدث المسرحى المباشر ، والجحيم على مستوى الموقف الفكرى السياسى .. فالمحنة التى أصيب بها أشخاص المسرحية الثلاثة ، ليست هى محنة الانسان فحسب ولكنها محنة فرنسا بوجه عام ، ومحنتها بوجه خاص بعد سقوط باريس أمام جيوش النازى فى الحرب العالمية الثانية !

أما جارسان فهو يمثل الانسان الفرنسى المتحضر، الانسان الذى يؤمن بالحرية ويدعو للسلام ، الانسان الذى لايطيق الحرب ويرى أنها تدمير لكل معانى الحياة، لهذا فهو لم يفر من الميدان خوفا من القتال ، ولكن ايمانا بالسلام ، فهو ليس جبانا وأن أجمع الكل على أنه جبان . ان مايؤرقه هو أنه يريد أن يثبت للعالم وللتاريخ أنه ليس جبانا ، وأنه لم يفر طلبا للسلامة ، ولكن ايمانا بالسلام ، ولو أنه وجد انسانا واحدايقتنع بموقفه ، لاسترد اعتباره ، واستراح من هذا الجحيم .

ولكن .. اين عساه يجد هذا الانسان ؟

فهاهى استيل الجميلة ، المتحررة ، المقبلة على الحياة ، والتى ترمز الى فرنسا الديمقراطية ، فرنسا .. الحرية والاخاء والمساواة ، والتى قتلت طفلتها

«جان دارك» ، هاهى تكشف عن وجهها الجميل الخادع، لتظهر عما تحت الوجـه من قبح ودمامة ، من خيـانة للزوج ، وقتل للابنة وانتحار للعشـيق ، حتى حبهـا البرىء .. الفتى بيير الذى يرمز لشباب الجيل الجديد فقدته أخـيرا بعـد أن اكتشف فيها كل هـذا العفن والخواء ، فأعرض عنها الى حب الفتاة اولجا ذات الشعر الاحمر ، والجسد البدين ، والوجـه القاسى الملامح ، والتى ترمز الى روسيا الشيوعية .

وهاهى أيضا اينيز المرأة المسترجلة ذات العواطف الشاذة ، التى تنفر من العلاقات الطبيعية نفـورها من الرجال ، والتى ترمز الى ألمانيا النازية ، التى تطـارد الدول الاخرى وتوقعهـا فى حبـائلها ، تحت شـعار «النظـام الجـديد» ولاتكف عن تعذيب هـذه الدول واشعارها باستمرار بأنها من جنس أدنى .. أدنى من جنسها هى ، الذى هو فى رأيها أرقى الأجنـاس لقـد استولت من قبل على فلورانس (ايطاليا) حتى هجرت زوجها، ولم تجد أمامها سوى العذاب، فقد قدمت على الانتحار ، وعلى الخلاص من حياتها وحياة اينيز معهـا فى ذات الوقت . وهاهى الآن تطارد استيل كما كانت النازية تطارد فرنسا ، وتحـاول أن تسـتولى عليها ، وتسلبها ارادتها فتخضع لها بطاعة عمياء ، ولاتتورع فى ذات الوقت عن تذكير جارسان بجبنه وفراره من المعركة تماما كما كانت النازية تفعل مع الفرنسيين !

ولكن استيل الفرنسية ، او استيل ـ فرنسا التى جبلت على حب الحرية ، وعشق الحياة ، والتى لا تمنح قلبها الا لرجلها ، تنفر من اينيز الشاذة ، ولاتستجيب لشذوذها الجنسى أو العاطفى ، تماما كما كانت فرنسا المحتلة تنفر من المانيا النازية ، وترفض أن تستسلم لها ، أو أن تعطيها القلب أو الروح . وعندما وقفت استيل بين اينيز وجارسان ، وكان عليها أن تختار ، اختارت جارسان ! .

وصحيح أن جارسان يمثل الرجل الفرنسى الذى اعتقد فى النهاية أن انهيار فرنسا كان نتيجة فراره من الميدان ، وهروبه من المعركة ، ولكن الصحيح ايضا انه كان يعتقد فى ذات الوقت أن فراره لم يكن عن جبن ،وأن هروبه لم يكن عن نذالة ، ولكنه فعل مافعل لانه كان يؤمن بالسلام .

وهكذا نرى انه اذا كانت فترة الاحتلال النازى قد أصابت فرنسا فى عقلها ، فانها لم تستطع ابدا ان تصيبها فى روحها ، فالروح الفرنسى .. روح الحب والحرية ، ظل نقيا كما هو ، يداه مضرجتان بالدماء ولكن عينيه تشرقان بالحياة .. الى أن جاءته الحرية بعد الاحتلال والحياة بعد الموات !

وهكذا ايضا بفضل الاحساس العميق بالحرية الداخلية ، وضرورة العمل على تأكيدها فى الخارج ،

★ نشبت حرب المقاومة .. مقاومة العدو بكل الوسائل وفى كل مكان .. بالكلمة المكتوبة ، والنغمة المسموعة ، والصورة المرسومة ، فضلا عن طلقات النار .

وأخيرا عادت الحرية الى باريس كما يعود الربيع الى الحياة ، وانطلقت فى طول البلاد وعرضها صيحة البطل الوجودى أو الانسان الجديد :

« هانذا موجود ، أتذوق نفسى ، انى أحس بالطعم القديم للدم وللماء الحديدى ، وذوقى هو انى أتذوق نفسى ، انى أحيا ، والحياة هى هذا : أن اتمتع بنفسى، وأرتوى منها بلا ظمأ ، أربعة وثلاثون عاما اتذوق فيها نفسى ، وقد كبرت ، قد اشتغلت ، وانتظرت . وبلغت ما كنت أريد .. مارسيل وباريس والاستقلال . وقد انتهى كل شىء ، فلا أنتظر شيئا بعد ذلك » .

هذا هو الانسان الحديث ، الانسان الحر حرية كاملة ، الانسان الذى تحرر من كل مؤثر خارجى .. طبيعى أو اجتماعى . والوجودية ليست شيئا سوى فلسفة هذا الانسان الحديث ، فاذا كان لعصرنا «جوه» الخاص ، وكان سارتر هو التعبير الفلسفى عن هذا الجو ، فهذه المسرحية « لا مفر » هى التعبير المسرحى عن جو هذا العصر !

جلال العشرى

لامفـــر

هذه هى الترجمة الكاملة لمسرحية

NO EXIT

للكاتب الفرنسى المعاصر :

Jean-Paul Sartre

شخصيات المسرحية :

● فاليه	Valet
● جارسان	Garcin
● استيل	Estelle
● أينيز	Ines

● المنظـر

صالون من طراز الامبراطورية الثانية ، تمثال ضخم من البرونز لجمهرة من الناس ؛ ملقى فوق المدفأة .

جارسان : (يدخل ، يرافقه خادمه الخصوصي ، ينظر فيما حوله) هم .. م .. هانحن ذا اذن !

الخادم : نعم .. يامستر جارسان

جارسان : وهذا ماتبدو عليه ؟

الخادم : نعم

جارسان : أثاث من طراز الامبراطورية الثانيـة ، كمـا ارى ، حسـنا .. حسـنا . أظن أن المرء يعتاد هذا الأثاث بمضي الزمن .

الخادم : بعض الناس يعتادونه ، وبعضهم لايعتادونه

جارسان : هل كل الغرف متماثلة ؟

الخادم : وكيف يمكن أن تكون كذلك ؟ اننا نقوم هنا على خدمة كل الاجناس .. صينيين وهنود مثلا ، فأى حاجة لهم بكرسى من طراز الامبراطورية الثانية ؟

جارسان : وماحاجتى أنا اليه فى رأيك ؟ أتدرى من كنت ؟ ماعلينا ، فليس لذلك أية أهمية ، أقول لك الحق ، كنت معتادا على أن أعيش دائما بين أثاث لاأستطيع ان أتذوقه ، وفى أوضاع زائفة ، بل لقد وصل بى الحال الى تذوق وضع زائف فى غرفة مائدة من طراز لويس فيليب . انت تعرف الطراز ؟ حسنا .. كان لهذا مزاياه .. زيف فى زيف .. كما يقولون .

الخادم : سترى أن العيش فى صالون من طراز الامبراطورية الثانية له مزاياه .

جارسان : حقا ؟ نعم .. نعم .. ربما . (يلقى بنظرة أخرى فيما حوله) مهما يكن من شىء ، فانى لم اكن اتوقع هذا : انت لاتجهل مايقال لنا هناك ؟)

الخادم : عن أى شىء ؟

جارسان : (باشارة مبهمة عريضة) هـذا ـ الـ ـ المسكن .

الخادم : حقا ، ياسيدى ، كيف يمكن أن تصدق هـذه الحماقات ؟ انها أشياء يقولهـا اناس لم يضعوا اقدامهم هنا من قبل ، لانهم بطبيعة الحال ، او كانوا قد اتوا هنا ...

جارسان : هذا صحيح .

(يضحكان كلاهما ، وتبدو على وجه جارسـان علامات الجد دفعة واحدة)

جارسان : واين الخوازيق ؟ اين ادوات التعذيب ؟

الخادم : ماذا ؟

جارسان : الخوازيق ؟ والمحارق ؟ والاجهزة الاخرى ؟

الخادم : آه ، ياسيدى ، انك تحب المزاح

جارسان : المزاح ؟ آه .. فهمت ، لا ، لم اكن امزح (صمت قصير ، يسير على مهل فى الغرفة) الاحظ انه لاتوجد مرايا ، ولا شبابيك ، امر طبيعى جدا، لاشيء مما يسهل كسره (بعنف مفاجيء) ولكن .. اللعنة على كل شيء ، كان بمقدورهم أن يتركوا فرشة اسنانى

الخادم : عظيم ! انـك لم تتخلص اذن من .. مـاذا تسميه ؟ الاحساس بالكرامة الانسانية ؟ اغفر لى ابتسامتى !

جارسان : (وهو يدق على ذراع الكرسى بغضب) اننى اطلب منك ان تكون اكثر ادبا . انا ادرك موقفى تماما ، ولكنى لن اقبل منك ...

الخادم : ياسيدى .. لم أقصد اهانتك ، ولكن كل النزلاء عندنا يوجهون نفس السؤال ، يحضرون فيسألون : « أين الخوازيق ؟ » هذا هو أول سؤال يوجهه الجميع عن بكرة ابيهم ، يوجهون اسئلة سخيفة ، اذا سمحت لى باستخدام هذا التعبير. وأؤكد لك انهم لايفكرون حتى فى متطلبات عملى ، لكنهم بعد فترة ، ما أن يستعيدوا هدوءهم ، حتى يأتى دور فرشة الاسنان ، وما الى ذلك ، ولكن قل لى بربك يامستر جارسان ، الا تستعملون عقولكم ؟ فما جدوى تنظيف اسنانكم ؟

جارسان : (وهو اكثر هدوءا) نعم .. انت بالطبع، على حق ، (ينظر فيما حوله مرة ثانية) ولماذا يريد المرء أن يرى نفسه فى المرآة ؟ ولكن تلك التقليعة البرونزية ، هذه حكاية أخرى ، اظننى ستمر بى لحظات تبرز فيها عيناى من محجريهما وأنا احملق فيها ، تبرز عيناى وأنا أحملق فيها ، هل تفهم ما اقصده ؟ هيا ، ليس لدى ما أخفيه ، فقد قلت لك اننى أدرك موقفى ، أتريد ان أخبرك عن شعورى ؟ ان الشخص يغرق ، ويختنق ، ويغوص بالتدريج حتى لايبقى منه فوق الماء الا عيناه . وماذا يرى ؟ تمثالا بشعا من البرونز بالقرب منه ، ما اسم هذا التمثال ؟ تحفة يقتنيها الهواة ، كما

يحدث فى الكابوس ، هذه هى فكرتهم .. اليس كذلك ؟ أغلب الظن أنهم أمروك بألا ترد على اسئلتى ، فلن الح عليك . ولكن لاتنسى ، ياصديقى ان لدى فكرة لامعة عما سيحدث لى ، فلا تفاخر بأنك قد اخذتنى على غرة . اننى أواجه الموقف ، أواجهه (يستأنف سيره) هذا هو الحال اذن ، لا فرشة أسنان ، ولا سرير أيضا ، ذلك أن المرء لا ينام ابدا. اليس كذلك ؟

الخادم : هو كذلك ؟

جارسان : كما توقعت تماما ، ولماذا ينام المرء ؟ النعاس يمسك بك ، ويداعبك خلف اذنيك ، وتشعر بعينيك تغمضان ، ولكن ما الداعى الى النوم ؟ انك تستلقى على الاريكة ، وفى طرفة عين ، يطير النوم من عينيك ، ويدلك المرء عينيه ، وينهض ، ثم يبدأ كل شىء من جديد .

الخادم : يالك من رومانسى !

جارسان : هل تتكرم بالصمت . لن اثير شجارا ، ولن اشعر بالاسف على نفسى ، وسأواجه الموقف كما قلت الآن توا . أواجهه بعدل وانصاف . لن أسمح له بأن ينقض على من الخلف دون أن اتمكن من تقييمه ، وتسمى هذه رومانسية ؟ لقد وصل بنا الحال الى هذا اذن ، ان المرء لايحتاج الى

الراحة ، لماذا يهتم المرء بالندم اذا لم يكن يشـــعر بالنعاس ؟ أن هذا يتمشى مع العقل ، أليس كذلك؟ انتظر لحظة ، هناك تعقيد ما ، شيء كريه ، والآن لماذا هو كريه ؟ آه .. فهمت : انها الحياة المتصلة التي لا انقطاع فيها !

الخادم : ماذا تعنى بهذا ؟

جارسان : ماذا أعنى ؟ (ينظر الى الخادم بريبة) كنت واثقا من ذلك . وهذا مايفسر لنا ذلك الشيء الفظ القليل الحياء الذى يتجلى فى طريقة نظرتك الى . انهما مشلولتان !

الخادم : عن اى شيء تتكلم ؟

جارسان : عن جفنيك ، اننا نحرك جفوننا الى أعلى والى اسفل ، وذلك بطرفة العين ، انهما أشبه بمصراع صغير أسود ، ينسدل فيتحقق الاقتطاع ، ويتلاشى كل شيء ، وتندى العينان ، انك لاتتصور الى اى حد ينعشنا ذلك ويريحنا، اربعة آلاف فترة راحة فى الساعة ، تخيل ! هذا هو المقصود اذن ، أن اعيش بلا اجفان . لاتتظاهر بالغباء ، انك تعلم ما أعنيه ، بدون جفون ليس هناك نوم ، انهمـا مترابطان .. اليس كذلك ؟ لن أنام بعد اليوم . ولكن كيف يمكن لنفسى أن تطيق صحبة نفسى ؟ حاول ان تفهم ! اننى معتاد على ان اغيظ نفسى ؛

على ان اكدر نفسى ! اذا شئت ! فأنا لا احسن الاغاظة ، ولكنى لا استطيع المزاح مع نفسى دائما دون توقف : فهناك كان يقبل الليل ، وكنت انام، كنت أنعم بالليل دائما ، كنـوع من التعويض فى رايى . وكنت انعم بأحلام بسيطة ، كان هنـاك حقل اخضر . مجرد حقل عادى كنت أتمشى فيه، هل طلع النهار ؟

الخادم : الا تستطيع ان ترى ؟ ان المصابيح مضاءة .

جارسان : نعم ، فهمت ، هـذا هو نهـاركم ، ولكن فى الخارج !

الخادم : (بدهشة) فى الخارج ؟

جارسان : عليك اللعنة ، انك تعرف ما أعنيه ، فيمـا وراء ذلك الحائط !

الخادم : هناك ممر

جارسان : وفى نهاية الممر ؟

الخادم : هناك غـرف أخـرى ، وممرات اخــرى ، وسلالم .

جارسان : وماذا يقع خلفها ؟

الخادم : لاشىء غير هذا .

جارسان : ولكنك تحصل على يوم عطلة بالتأكيد ، فأين تذهب لتقضيه ؟

الخادم : لدى عمى الذى يعمل رئيسا للخدم هنا ، ان له حجرة بالطابق الثالث .

جارسان : كان يجدر بى ان أضمن ذلك ، أين مفتاح النور ؟

الخادم : ليس هناك مفتاح نور .

جارسان : ماذا ؟ الا يمكن اطفاء النور ؟

الخادم : تستطيع الادارة ان تقطع التيار اذا أرادت ذلك، ولكننى لا اتذكر أنها فعلت ذلك قط فى هذا الطابق ، فالكهرباء عندنا مباحة دون قيد أو شرط .

جارسان : اذن يجب على المرء أن يعيش مفتوح العينين طوال الوقت ؟

الخادم : هل قلت ان يعيش ؟

جارسان : لاتحاور فى استعمال الالفاظ ، نعم .. مفتوح العينين والى الابد . سيكون الضوء وهاجا فى عينى على الدوام ، وفى راسى .. (فترة صمت) افرض اننى اخذت بهذه التقليعة التى فوق المدفأة ، والقيت بها على المصباح ، فهل ينطفىء ؟

الخادم : انها اثقل من أن تستطيع رفعها !

جارسان : (يتناول التحفة البرونزية بين يديه ، ويحاول رفعها) انت على حق ، انها ثقيلة جدا .

(يتبع ذلك فترة صمت)

الخادم : حسنا جدا ، مادمت قد أصبحت فى غير حاجة الى ، فانى سأتركك .

جارسان : ماذا ؟ أانت ذاهب ؟ (الخـادم يصـل الى الباب) انتظر (الخادم يلتفت) هذا رنين جرس ، اليس كذلك ؟ (الخادم يومىء برأسه) وأنت ملزم بالمجىء اذا دققت الجرس ؟

الخادم : حسنا ، نعم . هذا صحيح ، بمعنى ما ، ولكنك لا تستطيع الاعتماد على الجرس أبدا فهناك بعض الخلل فى الاسلاك ، وهو لايعمل دائما .

(يذهب جارسـان الى الجرس ، ويضـغط على الزر ، فيدق الجرس فى الخارج) .

جارسان : انه يعمل جيدا .

الخادم : (مندهشا) انه يعمل (يدق الجرس بدوره) ولكن لو أننى كنت مكانك لما اعتمدت عليه كثيرا ، انـه ذو نزوات ، حسنا ، ينبغى على الآن ان اذهب .

جارسان : (يقوم بحركة لاحتجازه)

الخادم : نعم ، ياسيدى ؟

جارسان : كلا ، لاشىء .. (يذهب الى المدفأة ، ويتناول من فوقها قطاعة ورق) ماهذا ؟

الخادم : الا ترى ؟ قطاعة ورق عادية .

جارسان : أتوجد كتب هنا .

الخادم : كلا

جارسان : اذن ، ما فائدتها ؟ (الخادم يهز كتفيه) حسن، تستطيع ان تذهب .

(الخادم يخرج)

(جارسان وحده ، يذهب الى التحفة البرونزية، ويتحسسها بيده فى تأمل ، يجلس ، ثم ينهض. يذهب الى الجرس ، ويضغط على الزر ، الجرس لايدق ، يحاول مرتين او ثلاث مرات ، ولكن عبثا ، حينئذ يحاول فتح الباب ، دون نجاح أيضا ، ينادى الخادم عدة مرات ، دون نتيجة ، يدق الباب بقبضتيه وهو لايزال ينادى :

جارسان : ايها الخادم ! ايها الخادم !

(يهدأ فجأة ، ويذهب للجلوس ، وفى هذه اللحظة يفتح الباب ، وتدخل اينيز يتبعها الخادم)

الخادم : هل ناديتنى ؟

جارسان : (على وشك ان يجيبه بنعم ، ولكنه يرى اينيز) كلا .

الخادم : (ملتفتا الى اينيز) هذه هى غرفتك، ياسيدتى. (صمت من اينيز) اذا كان لديك أسئلة لتوجيهها الى ..؟) اينيز تلوذ بالصمت ، ويبدو الخادم حانقا بعض الشيء) من المعتاد أن معظم نزلائنا يحبون الاستفسار ، ولكننى لن الح . على اية

حال ، فيما يتعلق بفرشة الاسنان ، والجرس ، وذلك الشيء فوق رف المدفأة ، فان السيد يستطيع أن يخبرك بأى شيء تريدين معرفته . لقد تحادثنا قليلا .. هو وأنا ..

(يخرج . جارسان لا ينظر الى اينيز التى تنظر فيما حولها ، ثم تتجه فجأة نحو جارسان)

اينيز : اين فلورانس ؟ (جارسان لا يجيب) أسألك اين هى ؟

جارسان : لا أدرى .

اينيز : آه .. هذه هى الطريقة التى تتبعونها ! التعذيب عن طريق التفرقة ! حسن ، لقد طاش سهمك ، فقد كانت فلورانس فتاة تافهة معتوهة ، وان افتقدها على الاطلاق .

جارسان : ارجوك ، الا تؤاخذينى : ما تظنينى ؟

اينيز : انت . انت الجلاد بالطبع .

جارسان : (يبدو مذعورا ، ثم ينفجر بالضحك) هذه نكتة طريفة ، نكتة مضحكة لدرجة لاتقوى عليها الكلمات .. انا الجلاد ! اذن فقد دخلت ، ونظرت الى ، وقلت فى نفسك اننى احد اعضاء الهيئة . ان هذا بالطبع خطأ ذلك الشخص الغبى ، فقد كان عليه أن يقدم كلا منا الى الآخر . جلاد .. حقا ! انا يوسف جارسان ، ومهنتى الأدب ،

وحيث اننا فى نفس الموقف ، فيمكننى ان اسألك انت السيدة ...؟

اينيز : (بجفاء) لست سيدة ، فلست متزوجة .

جارسان : حسن جدا ، هذه بداية على أية حال ، إذن لقد زالت من بيننا كل كلفة ، هل تظنين حقا أننى ابدو جلادا ؟ على فكرة .. وبأى علامة يستطيع المرء ان يتعرف على الجلادين ؟ عندما ينظر اليهم .؟ من الواضح ان لديك أفكارا عن هذا الموضوع .

اينيز : تبدو عليهم سيما الخوف .

جارسان : الخوف ؟ ان هذا مضحك .. وممن يخافون؟ من ضحاياهم ؟

اينيز : اضحك ، ولكننى اعرف معنى ما اقول . فلطالما نظرت الى وجهى فى المرآة .

جارسان : فى المرآة ؟ (ينظر فيما حوله) انهم وحوش، فقد ازالوا من هنا كل مايمكن ان يمت الى المرآة بشبه . (صمت قصير) على أية حال ، أستطيع ان أؤكد لك بأننى لست خائفا ، لا لانى استهين بالموقف ، كما أنى أدرك خطورته تماما ، ولكنى لست خائفا .

اينيز : (تهز كتفيها) هذا امر لا يهم احدا سواك ، (صمت) هل تظل هنا طوال الوقت ، أو هل تخرج لجولة من آن لآخر ؟

جارسان : الباب مغلق بالقفل .

اينيز : أوه ، هذا أمر بالغ السوء !

جارسان : انى أفهم جيدا أن يكون فى وجودى مايضايقك وأنا شخصيا كنت أفضل ، بصراحة ، ان اظل وحدى ، اذ يجب على أن اتدبر بعض الامور ، وأن انظم حياتى ، والمرء يحسن فعل هذا عندما يكون وحده . ولكنى واثق من اننا نستطيع الاتفاق معا بشكل ما ، فأنا لا أتكلم ، ولا أكاد أتحرك ، وأنا فى الواقع شخص مسالم ، ولكن .. اذا استبحت لنفسى تقديم اقتراح واحد ، يجب علينا أن نراعى منتهى التهذيب فى علاقاتنا ، فهذا سيخفف من الموقف بالنسبة لكل منا .

اينيز : انا لست مهذبة .

جارسان : اذن سأعمل على أن يكون نصيبى من التهذيب كافيا لنا نحن الاثنين .

(فترة صمت طويلة ، جارسان جالس على الأريكة ، اينيز تقطع الغرفة جيئة وذهابا)

اينيز : الا تستطيع ايقاف فمك ؟ أن يدور تحت انفك كالخذروف ، انه مسخ مضحك .

جارسان : أسألك العفو ، فانى لم أشعر بذلك .

اينيز : وهذا ما آخذه عليك بالضبط ، (يختلج فى جارسان) هاأنذا .. انك تتكلم عن التهذيب

وفى الوقت نفسه لا تحاول حتى أن تتحكم فى وجهك ، تذكر أنك لست وحدك هنا ، وليس من حقك أن تحملنى تبعة منظرك .

جارسان : (ينهض ويذهب نحوها) وماذابشأنك أنت ؟ الست خائفة ؟

اينيز : وما جدوى هذا ؟ كان الخوف مقبولا «من قبل» عندما كان لايزال لدينا أمل .

جارسان : (بصوت خافت) لم يعد لدينا أمل ، ولكننا مازلنا فى اول الطريق ، اننا لم نبدأ بعد فى تكبد الآلام .

اينيز : هذا صحيح (فترة) حسن ؟ ماذا سيحدث ؟

جارسان : لاادرى ، هاأنذا انتظر .

(فترة صمت ، جارسان يعود للجلوس . واينيز تستأنف سيرها ، يختلج فم جارسان ، وبعد أن يلقى نظرة على اينيز يدفن وجهه بين راحتيه ، تدخل استيل والخادم ، استيل تنظر الى جارسان ، الذى لايزال وجهه مدفونا فى راحتيه) .

استيل : (لجارسان) لا ! لا ترفع راسك ، انا اعرف ماذا تخفى بيديك ، انك أصبحت دون وجه . (جارسان يجذب يديه) ماذا ؟ (صمت قصير ، ثم بنغمة دهشة) لكننى لا أعرفك !

جارسان : لست الجلاد ياسيدتى .

استيل : لم اظنك الجلاد ، ولكنى اعتقدت ان احدا يريد أن يمزح معى مزحة سخيفة (للخادم) اتنتظر احدا آخر .

الخادم : لاياسيدتى ، لن يأتى احد آخر .

استيل : (تشرع فى الضحك) اوه ، اذن سنظل وحدنا ، نحن الثلاثة . هذا السيد ، وهذه السيدة ، وأنا ؟

جارسان : (بغضب) ليس هناك مايدعو الى الضحك .

استيل : (مواصلة ضحكها) انها تلك الارائك ، انها قبيحة جدا ، ثم انظروا كيف رتبوها انها تجعلنى افكر فى عيد راس السنة ، وكأنى فى زيارة لدى عمتى مارى ، وبيتها ملىء بمثل هذه المرعبات ، كل منا له أريكته على ما اظن ، اهذه اريكتى ؟ (للخادم) ولكنك لاتنتظر منى أن أجلس على تلك الأريكة ، ان هذا أفظع من أن تعبر عنه كلمات ، فستانى فاتح اللون ، وهى خضراء فاقعة الخضرة

اينيز : هل تفضلين اريكتى ؟

استيل : تلك الحمراءالداكنة ؟ هذا تلطف منك ، ولكننى لا اظنها حقا تمتاز عن الاخرى وماجدوى التلق على اية حال ، علينا ان نتقبل مايحل بنا ، وسأتقبل

الأريكة الزرقاء (فترة صمت) الاريكة الوحيدة التى تناسبنى مع شىء من التجاوز هى أريكة السيد (فترة صمت اخرى) .

اينيز : اتسمع ياسيد جارسان ؟

جارسان : (مذعورا) .. الـ .. اريكة ، أوه ! لامؤاخذة (ينهض) انها لك ياسيدتى .

استيل : شكرا . (تنتزع معطفها ، وتلقى به على الاريكة ، فترة صمت ، والآن يجدر بنا أن نتعارف مادمنا سنقيم معا ، أنا استيل ريجو (جارسان ينحنى ويوشك أن يذكر اسمه ، ولكن اينيز تتقدم امامه) .

اينيز : وانا اينيز سرافو ، يسعدنى لقاؤك .

جارسان : (ينحنى مرة ثانية) يوسف جارسان .

الخادم : االتم فى حاجة الى ؟

استيل : كلا ، يمكنك أن تذهب ، سأدق لك الجرس عند اللزوم .

(الخادم ينحنى بأدب لكل منهم ، ويخرج)

اينيز : انت جميلة جدا ، كنت أتمنى لو اتيحت لى بعض الزهور لأرحب بقدومك .

استيل : الزهور ؟ نعم ، كنت أحب الزهور ، لكنها هنا تسارع بالذبول ، اليس كذلك ؟ فالجو خانق

جدا ، ماعلينا ، أن أعظم مايمكننا أن نفعله ـ هو أن نحتفظ بمرحنا قدر استطاعتنا ، الا توافقيني ؟ وأنت أيضا بالطبع ..

اينيز : نعم ، منذ أسبوع ، وانت ؟

استيل : أنا ؟ حديثة العهد جدا ، منذ الامس والحق انهم لم ينتهوا من الاحتفال بعد . (تتكلم بصورة جد طبيعية ، ولكن كما لو كانت ترى ماتصفه) الريح تثير نقاب اختى فوق المكان كله ، واختى تحاول بكل جهدها ان تبكى ، هيا يا عزيزتى ، ابذلى محاولة اخرى ، هذا أفضل ، دمعتان ، دمعتان صغيرتان تلمعان تحت النقاب الاسود ، ما أقبح الجارة فى هذا الصباح ، إنها تأخذ بذراع أختى لتسندها وهى لا تبكى ، وأنا لا ألومها ، فالدموع تشوه وجه الواحدة ، أليس كذلك ؟) لقد كانت أعز صديقة لى .

اينيز : هل تألمت كثيرا ؟

استيل : كلا ، بل كنت فى الاغلب نصف واعية !

اينيز : ومم كنت تتألمين ؟

استيل : التهاب رئوى (بنفس نغمتها السابقة) لقد انتهى الامر الآن ، وهاهم يغادرون الجبانة ، وداعا! وداعا (جمهور كبير ، لقد بقى زوجى بالمنزل ، وقد أنهكه الحزن ، ذلك الرجل المسكين . (مخاطبة اينيز) وماذا بشأنك ؟

اينيز : موقد الغاز

استيل : وأنت ياسيد جارسان ؟

جارسان : اثنتا عشر رصاصة فى الصدر . (اشارة فزعة من استيل) لا مؤاخذة ، فلست من الأموات الذين تطيب صحبتهم .

استيل : ارجوك ، ارجوك ، لاتستعمل تلك الكلمة ، انها، انها تؤذى الشعور ، قلة ذوق متناهية فى الحقيقة، وهى لاتعنى الكثير على أية حال ، لعلنا لم نكن أكثر حياة مما نحن الآن . واذا لم يكن بد من ذكر هذه الحالة ، فانى أقترح أن نسمى انفسنا ، انتظر ، غائبين ! اغائب انت منذ زمن طويل ؟

جارسان : منذ حوالى شهر .

استيل : ومن اين انت ؟

جارسان : من ريو

استيل : وانا من باريس ، هل لايزال لك أهل هناك ؟

جارسان : نعــم ، زوجتى . (بنفس النغمــة التى كانت استيل تستعملها) انها تنتظر عند مدخل الثكنات ، وهى تحضر كل يــوم ، ولكنهم لايســمحون لهــا بالدخول ، هاهى ذى تتبصص من خلال القضبان ، لم تعلم بعد انى غائب ، ولكنها تشك فى ذلك ، والآن ، هاهى ذى تنصرف ، انهــا تلبس ثوبهــا الاسود ، وهذا خير ، لان ذلك سيوفر عليها تغيير

ملابسـها ، انها لاتبكى ، ولم تكن تبكى على أيـة حال ، الشمس ساطعة ، وهى تسير وحـدها فى الشارع المهجور بملابسها السوداء ، تلكما العينان انواسعتان الحزينتان ، وتلك النظرة الشهيدة التى ترتسم فيهما دائما ، اوه ، كم كانت تضايقنى !

(فترة صمت ، جارسـان يذهب للجـلوس على الأريكة الوسطى ، يدفن وجهه بين راحتيه) .

اينيز : استيل

استيل : من فضلك ياسيد جارسان !

جارسان : نعم ؟

استيل : انت جالس على أريكتى

جارسان : عفوا (ينهض)

استيل : كان يبدو عليك الاستغراق ، آسفة لانى اقلقتك

جارسان : كنت انظم حياتى (تشرع فى الضـحك) يحسن بمن يضحكون ان يفعلوا كما أفعل .

أينيز : لست فى حاجة الى ذلك ، فحياتى منظمة تمام التنظيم ، انها نظمت من تلقاء نفسها ، فلست فى حاجة لان اشغل نفسى بها الآن .

جارسان : حقا أتظنين أن الامر بهذه السهولة ، (يمـر بيده على جبهته) ماأشد الحر ! هل تسمحون لى بأن ...؟ (يشرع فى خلع سترته)

استيل : كيف تجرؤ على هذا (بلهجة أكثر رقة) لا ، أرجوك الا تخلعها (انا لا اطيق رؤية الرجال وهم بالقمصان .

جارسان : (وهو يرتدى سترته من جديد) حسنا (فترة صمت) بالطبع كنت أقضى الليل فى مكتب الجريدة، ولهذا لم نكن نرتدى ستراتنا ، فالجو هنا حار خانق . (فترة صمت ، وبنفس النغمة السابقة) الجو خانق ، لقد حل الليل الآن .

استيل : نعم ، وهاهى ذى أولجا تنزع عنها ملابسها ، لابد ان الوقت جاوز منتصف الليل ، ماأسرع مرور الوقت على وجه الارض ؟

اينيز : نعم ، بعد منتصف الليل ، وقد وضعوا أختام الشمع على باب غرفتى ، والغرفة تبدو خالية فى الظلام الداكن .

جارسان : لقد وضعوا جاكتتاتهم على ظهور كراسيهم ، وشمروا اكمامهم الى مافوق المرافق ، الجو شبع برائحة البشر والسيجار ، (فترة صمت قصيرة) كنت احب العيش بين الرجال وهم خالعون ستراتهم .

استيل : (بعدوانية) معنى ذلك اننا مختلفان فى الاذواق ، هذا ما يبرهن عليه ذلك ، (تستدير نحو اينيز)

أتحبين ذلك ؟ أتحبين الرجـــال وهم خـــالعون ستراتهم ؟

اينينر : أنا لا أحب انرجال كثيرا على اية حال .

استيل : (تنظر اليها مبهوتة) الحـق انني لا افهم لمـاذا جمعوا بيننا ، ليس لهذا معنى .

اينيز : (وهى تخنق ضحكة) ماذا تقولين ؟

استيل : انني أنظر اليكما ، وافكر فى أننا سنعيش سويا، هذا مضحك جدا ، كنت اتوقـع أن أجـد بينكم أصدقاء قدامى ، أو أقارب !

اينيز : نعم ، صديق قديم جذاب ، فى وســط وجهـه ثقب .

استيل : نعم ، وهذا ايضا كان يرقص التانجو بقدسيته كأحد المحترفين ، ولكن لماذا ؟ لماذا جمعونا معا دون كل الناس ؟

جارسان : محض صدفة .. فى رأيى ، فهم ينزلون الناس حيث يستطيعون تبعا لترتيب وصولهم لاينيز ، لماذا تضحكين ؟

اينيز : لأن . صدفتك ، هــذه تثير ضـــحكى ، كأنهم يتركون شيئا للصدفة ، ولكننى اظن انك يجب ان تؤكد لنفسك شيئا بطريقة ما .

استيل : (بتردد) انني أتساءل الآن ، الا يمكن ان نكون قد تقابلنا معا فيما مضى ؟

اينيز : مطلقا ، لو حدث ذلك لما كنت قد نسيتك .

استيل : أو ربما كان لنا بعض المعارف المشتركين ، الا تعرفين آل ديبوا سيمور ؟

اينيز : ليس هذا جائزا .

استيل : ولكن كل واحد كان يذهب الى حفلاتهم .

اينيز : ماذا يعملون ؟

استيل : انهم لايعملون شيئا ، بل يملكون قصرا جميلا فى الريف ، وتزورهم مجموعات من الناس .

اينيز : ... انا لم اكن ازورهم ، اننى أعمل كاتبة فى مكتب بريد .

استيل : (بشىء من التراجع) آه ؟ اذن ، بالطبع ! (فترة صمت) وانت ياسيد جارسان ؟

جارسان : اننا لم نلتق قط ، فقد كنت أعيش دائما فى ريو .

استيل : فى هذه الحال ، أعتقد انك محق كل الحق ، فهى مجرد الصدفة التى جمعت بيننا .

اينيز : مجرد الصدفة ! اذن فهذا الأثاث هنا من باب الصدفة ، والصدفة هى التى ادت الى وضع الأريكة الخضراء الفاقعة على اليمين ، والأريكة الحمراء الداكنة على اليسار .. مجرد الصدفة اذا صح ذلك ، فحاولى اذن أن تغيرى أماكنها

وسترين الفرق بسرعة ، وذلك الشيء فوق المدفأة هل تظنين انها الصدفة أيضا ؟ وتلك الحرارة التى تشيع هنا ؟ (فترة صمت) قلت لكم انهم رتبوا كل شيء ، حتى أتفه التفاصيل ، لم يتركوا شيئا للصدفة ، فهذه الغرفة قد رتبت لنا .

استيل : ولكن حقا ؟ ان كل ماهناك قبيح ، صارم ، ملىء بالزوايا ، وقد كنت دائما أكره الاشياء ذات الزوايا .

اينيز : (تهز كتفيها) وهل تظنين انى كنت أعيش فى صالون من طراز الامبراطورية الثانية ؟

استيل : اذن فكل شيء قد رتب من قبل ؟

اينيز : نعم ، وقد وضعونا معا عن عمد .

استيل : اذن ، ليس من باب الصدفة أن تكونى . أنت ، فى مواجهتى «أنا» ؟ ولكن ، ما المقصود بهذا كله ؟

اينيز : اسأليني عن أي شيء آخر ، اننى أعلم فقط انهم ينتظرون .

استيل : انا لا اطيق ان يتوقع أحد منى شيء ما ، فانذلك يغريني بأن افعل عكس مايتوقع .

اينيز : اذن افعلى ذلك ، افعليه اذا كان فى استطاعتك، فانت لاتعرفين حتى ماينتظرون منك .

استيل : (تدق الارض بقدميها) هذا فظيع ! ولابد ان يحدث لى شىء ما على أيديكما ؟ (تنظر اليهما على التوالى) شىء كريه فى رأيى ، فهناك وجوه تفصح لى عن كل شىء فى الحال ، أما وجهاكما فلايقولان لى شيئا) .

جارسان : (مخاطبا اينيز فجأة) اسمعى! لماذا نحن هنا معا ؟ لقد لمحت بما فيه الكفاية . ويجدر بك أن تفصحى عن الحقيقة .

اينيز : (مندهشا) ولكننى لا أعرف عنه شيئا . لا أعرف شيئا على الاطلاق عن هذا ، اننى أجهل كل شىء مثلكما .

جارسان : لابد أن نعرف (يفكر لحظة) .

اينيز : او توفر لكل منا من الشجاعة ما يدفعه الى أن يقول . .

جارسان : ماذا ؟

اينيز : استيل ؟

استيل : نعم ؟

اينيز : ماذا فعلت ؟ أعنى لماذا بعثوا بك الى هنا ؟

استيل : (بسرعة) هذا هو السؤال بالضبط ، ليست لدى اية معلومة ، ولا أقل معرفة ، لاأعرف شيئا مطلقا ، بل كثيرا ماأسأل نفسى عما اذا لم يكونوا قد بعثوا بى هنا من باب الخطأ . (لاينيز) لا تبتسمى .

وتاملى عدد الناس الذين .. الذين يغيبون فى كل يوم . انهم يأتون الى هنا بالآلاف المؤلفة ومن المحتمل انهم يفرزون بواسطة صغار الموظفين ، هل تعرفين ماأعنيه .. الموظفون الاغبياء الذين لايعرفون عملهم ، فكيف تريدين بعد كل هذا الا تقع بعض الاخطاء ؟ كفى ابتساما (لجارسان) لماذا لا تتكلم ، اذا ثبت أنهم اخطأوا فى حالتى فلايبعد أن يكونوا قد اخطأوا فى حالتك أيضا (لاينيز) وأيضا فى حالتك ، وعلى اية حال ، الا يجدر بنا أن نعتقد بأننا جئنا الى هنا خطأ ؟

أينيز : اهذا كل ما تريدين أن تقوليه لنا ؟

استيل : وماذا اقول غير هذا ، ليس لدى ماأخفيه ، فقدت أبوى عندما كنت طفلة ، وكان على ان أقوم بتربية أخى الصغير . كنا فقراء مدقعين ، وعندما تقدم الى صديق عجوز من أصدقاء أبى وطلب يدى ، قلت نعم ، كان ثريا طيب القلب ، وكان أخى طفلا معتل الصحة ،وكانت صحته تتطلب كل عناية، ولهذا فقد كان كل مافعلته هو الصواب حقا ، الا تتفقون معى فى الرأى ؟ كان زوجى من الكبر بحيث يمكن أن يكون والدى ، وعشنا معا ست سنين لم يكدر صفوها شىء ، ومنذ سنتين تقابلت مع الشخص الذى كان مقدرا لى أن أحبه ، عرفنا ذلك فى نفس اللحظة التى رأى فيها كل منا الآخر ،

وطلب مني ان اهرب معه ، ولكنى رفضت . وبعد ذلك اصبت بالالتهاب الرئوى ، وقضت الاصابة على .. هذا كل مافى الامر . وربما اخذ على ، باسم بعض المبادىء ، انى ضحيت شبابى مع رجل عجوز ، بلغ من العمر ثلاثة اضعاف عمرى .
(مخاطبة جارسان) اتظن انى ارتكبت خطأ ؟

جارسان : كلا ، بالتأكيد (فترة صمت) والآن ، اخبرينى، اترين من الخطأ أن يحيا الانسان من أجل مبادئه ؟

استيل : بالطبع لا ، لايستطيع احد بالتأكيد أن يلومك على هذا !

جارسان : انتظرى لحظة ، كنت ادير صحيفة تدعو إلى السلام ، واندلعت الحرب ، فماذا أفعل ؟ كانت كل الانظار موجهة نحوى : «هل يجرؤ ؟» نعم .. لقد جرؤت ، عقدت زراعى ، واطلقوا على الرصاص . فهل ارتكبت خطأ ؟

استيل : (تضع يدها على ذراعه) خطأ ! بالعكس ، فقد كنت ..

اينيز : (تقاطعها متهكمة) بطلا .. وماذا عن زوجتك ياسيد جارسان ؟

جارسان : هذا امر بسيط ، لقد انتشلتها من الوحل .

استيل : (لاينيز) اترين ! اترين !

اينيز : نعم، أرى. (صمت) اسمعى ، ما جدوى التمثيل، ومحاولة ذر الرماد فى أعين أحدنا الآخر ، اننا جميعا قد طلينا بالزفت .. بنفس الفرشاة .

استيل : (بغضب) كيف تجرؤين ؟

اينيز : نعم ، اننا مجرمون ، قتلة ، اننا جميعا فى جهنم ياأصدقائى ، وهم لايخطئون ، ولايمكن ادانة الناس دون سبب .

استيل : اسكتى ، بحق السماء .

اينيز : فى جهنم ! ارواح ملعونة ، هــذا نحن ، ثلاثتنا !

استيل : اسكتى ، انى امنعك من استعمال هذه الالفاظ المقززة

اينيز : روح ملعونة ، هذا انت، أيتها القديسة الملاطية، ومجرم أيضا صديقنا الذى يقع هناك ، داعية السلام النبيل ، لقد كان لنا وقت ملذاتنا ، أليس كذلك ؟ كان هناك أناس أحرقوا ارواحهم من اجلنا حتى الممات ، وكنا نجد فى ذلك سلوى لنا ، فعلينا الآن أن ندفع الثمن .

جارسان : (رافعا قبضته) أغلقى فمك ، عليك اللعنة !

اينيز : (تواجهه دون خوف ، لكن بدهشة هائلة) حسنا ، حسنا (فترة صمت) انتظر ، لقد فهمت الآن ، وأعرف الآن لماذا وضعونا معا !

جارسان : نصيحتى اليك ان .. ان تفكرى جيدا قبل أن تضيفى شيئا الى اقوالك .

اينيز : انتظر : سترون كيف ان الأمر بسيط ، بسيط الى أقصى حد ، من الواضح أنه ليس هناك عذاب جسمانى ، أنتما متفقان معى ، أليس كذلك ؟ ومع ذلك فنحن فى جهنم ، ولن يأتى أحد بعدنا لن يأتى أى أحد ، وسنظل فى هذه الغرفة معا حتى النهاية ، ثلاثتنا ، الى ابد الآبدين ! وقصارى القول انه ينقصنا هنا شخص واحد ، هو شخص الجلاد .

جارسان : (بصوت منخفض) لقد لاحظت ذلك .

اينيز : ومن الواضح انهم يهدفون بذلك الى الاقتصاد فى القوى البشرية ، أو القوى الشيطانية ، وهذا معناه أن العملاء هنا يخدمون أنفسهم بأنفسهم ، كما هى الحال فى المطاعم التى يخدم الزبائن فيها انفسهم .

استيل : ماذا تعنين بذلك ؟

اينيز : أعنى ان كلا منا جلاد للاثنين الآخرين .
(فترة صمت قصيرة ، بينما يتأملون المعلومة التى سمعوها)

جارسان : (بصوت حنون) لا ، لن أكون جلادكما ، ولست أريد بأيكما اى شر ، ولا تربطنى بكما اية علاقة ،

أية علاقة على الاطلاق . فالحل فى غاية البساطة .
ليبق كل منا فى ركنه ، ولايلق بالا الى الآخرين ،
أنت هنا ، وانت هنا ، وأنا هنا مثل جنود فى
مواقعنا ، ولنلتزم الصمت التام ، دون أن ننبس
بكلمة واحدة ، ليس هذا بالامر الصعب ، فكل منا
له من أمور نفسه مايكفى لشغله عن الآخرين .
وأنا شخصيا أعتقد أنى أستطيع البقاء عشرة آلاف
سنة دون كلام .

استيل : أيجب على أن الوذ بالصمت . انا ايضا ؟

جارسان : نعم ، وبذلك ، وبذلك نصل الى خلاصنا ،
أن ينظر كل منا الى نفسه ، وألا نرفع رؤوسنا
ابدا ، موافقون ؟

اينيز : موافقة .

استيل : (بعد تردد) موافقة .

جارسان : اذن ، الوداع !

(يذهب الى أريكته ، ويضع رأسه بين راحتيه ،
صمت طويل ، تشرع أينيز فى الغناء لنفسها) .

ياله من جمهور غفير فى حارة هوايت فرايرز !
اقيمت الانصاب صفا واحدا
بمقصلة وسكين ،

ووضعت النحالة فى الدلو ،
تعالوا ، أيها الناس الطيبون ، الى حارة هوايت
فرايرز !

تعالوا لتروا العرض المرح .
استيقظ الجلاد عند طلوع الفجر
فلديه عمل كثير
ان يقطع رؤوس جنرالات
وأساقفة وأمراء للبحار
ياله من جمهور غفير فى حارة هوايت فرايزر !
انظر اليهم يقفون صفا
سيدات تحلين بأجمل الملابس
ولكن ينبغى أن تذهب رؤسهن .
ان تسقط الرؤس والقبعات
تعالوا أيها الناس الطيبون الى حارة هوايت فرايز
تعالوا لتروا العرض المرح .

فى هذه الوحدة ، ابحثا لى عن مرآة !
فى هذه الاثنـــاء ، تنشغل استيل بوضع شىء من المسحوق الابيض والاحمر ، تتطلع حولها ، وتبحث عن مرآة ، وعليها سيما القلق ، تفتش فى حقيبتها ، ثم تلتفت الى جارسان) .

استيل : عفوا ياسيدى ، هل معك مرآة ؟ (جـــرسان لايجيب) اى مرآة .. مرآة جيب تكفى ؟ (يظـل

جارسان صامتا لا يجيب) حتى اذا كنتما ستتركانى فى هذه الوحدة ، ابحثا لى عن مرآة !

(جارسان يظل دافنا راسه بين راحتيه ، دون أن يجيب)

اينيز : (باقبال) لاتقلقى، أنا عندى مرآة فى حقيبة يدى، (تفتش فى حقيبتها ، ثم تقول بغضب) لقد اختفت، لابد انهم اخذوها منى عند باب الدخول .

استيل : شىء يضايق

(فترة صمت قصيرة ، تغمض عينيها وتترنح كما لو كانت على وشك الاغماء تسارع اليها اينيز وتسندها)

اينيز : ماذا بك ؟

استيل : (تفتح عينيها ، وتبتسم) اشعر بشعور غريب. (تتحسس جسدها) ألا تشعرين هذا الشعور ، حينما لاارى نفسى ، اروح اتساءل عما اذا كنت موجودة حقا أم لا . فأتحسس جسدى لأتأكد . ولكن هذا لايجدى كثيرا .

اينيز : هذا من حسن حظك ، اما انا فأحس بنفسى دائما فى عقلى ، اننى ادرك وجودى بشكل مؤلم (

استيل : آه ! نعم ، من الداخل ، ان كل مايجرى داخل الرؤوس يبدو لى مبهما ويدعونى الى النوم (فترة

صمت) هناك ست مرايا كبيرة فى غرفة نومى ، انى اراها ، ولكنهـــا لاترانى ، انهـــا تعكس الاريكة والسجادة والشباك .. ولكن ما أشدالفراغ فى مرآة لا أكون انا فيها ، فى مرآة لا أوجد أنا فيها ؟ عندما كنت أتكلم مع الناس كنت أتأكد دائما من وجـــود مرآة قريبة ، كنت كلما تكلمت ، رتبت أمرى على ان أرى نفسى فيها ، كنت أراقب نفسى فيها وأنــا اتكلم ، وبطريقة ما كانت تجعلنى يقظـــة .. أرانى كما يرانى الناس ، بالمسحوقى الاحمر . انا واثقة من أنى وضعته فى غير تناسق ، لا ، اننى لاأستطيع ان استغنى أبد الآبدين عن مرآة .

اينيز : اترين أن أقوم لك مقــام المرآة ؟ تعـــالى .. زورينى ياعزيزتى ، هناك مكان لك على أريكتى .

استيل : لكن ... (تشير الى جارسان)

اينيز : أوه ، انه ليس مهما .

استيل : ولكننا سنؤذى مشاعر أحدنا الآخر ؟ وانتى التى قلت ذلك .

اينيز : ايبدو على انى اريد أن أوذى مشاعرك ؟

استيل : من يدرى ؟

اينيز : من المجتمل اكثر . انك انت التى ستسببين لى الأذى ، ولكن لا اهمية لذلك ، فانه اذا كان لابد لى من الالم ، فانى أفضل أن يكون ألمى على يديك . يديك الجميلتين ، اجلسى ، اقتربى ، اقتربى أكثر

مــن ذلك ، انظــرى فى عينى ، أتــرين نفســك فيهما ؟

استيل : اوه ، انني هناك ! ولكنني ضئيلة جدا للدرجــه انني لا ارى نفسى بوضوح .

اينيز : أما انا . فأراك ، اراك كلك ، والآن وجهى إلى اسئلة ، وسأكون اصدق من اى مرآة !

(استيل محرجة ، تلتفت الى جارسان كمــا لو كانت تطلب منه العون)

من فضلك ياسيد جارسان ، هل انت واثق من أن ثرثرتنا لاتضايقك ؟

(جارسان لايجيب)

اينيز : لاتقلقى بشأنه ، فكما قلت لم يعد له أى حساب، اننا وحدنا ، فاسأليني !

استيل : هل أحسنت وضع أحمر الشفاه ؟

اينيز : ارينى ، لقد تلطخت شفتاك قليلا .

استيل : كنت أشك فى ذلك ، من حسن الحظ أن (تلقى نظرة سريعة على جارسان) ان أحــدا لم يرنى ، سأبدأ من جديد .

اينيز : هذا أحسن ، كلا ، اتبعى خطوط شــفتيك ، انتظرى ، سأتولى انا ارشادك هــكذا .. الآن ، لابأس به .

استيل : مثل ماكان عليه حينما دخلت هنا منذ قليل ؟

اينيز : افضل من الاول ، اكثر قوة ، لقد اصبح فمك اليق بجهنم .

استيل : بالله ! وتقولين انك تحبيه ! كم يدفع الى الجنون ، الا استطيع رؤية ذلك بنفسى ؟ هل أنت واثقة باآنسة سيرانو ، انه الآن على مايرام ؟

اينيز : الا تنادينني باينيز ؟

استيل : هل أنت واثقة انه على مايرام ؟

اينيز : انت جميلة ، يا استيل .

استيل : ولكن ، كيف اعتمد على ذوقك ؟ انه مثل ذوقى انا ، أوه ، كم هو مقزز ؟ ويكفى لان يدفع بالانسان الى الجنون .

اينيز : نعم ، لى نفس ذوقك ياعزيزتى ، لأننى أحبك انظرى الى ، ابتسمى ، فأنا ايضا لست دميمة ، الست افضل من المرآة ؟

استيل : أوه ، لاأدرى ، الاحرى أنك تخيفيننى ، أما صورتى فى المرآة فلم تكن تخيفنى ابدا كنت أعرفها جيدا بالطبع ،مثل شيء قمت بترويضه ، سأبتسم، وستذهب ابتسامتى الى اعمق أعماق عينيك ، حيث لايعلم الا الله ماذا سيحل بها .

اينيز : وما الذى يمنعك من استئناسى ؟ (تتبادلان النظرات ، استيل تبتسم بانبهار وخوف) اصغى

الى ، اريدك أن تنـــادينى باينيز ! لابد لنـا أن نتصادق .

استيل : يشق على أن ارفع الكلفة بينى وبين النساء .

اينيز : تقصدين بينك وبين موظفات البريد ، ما هذا . . تلك البقعة الحمراء السيئة أسفل خدك ؟ دمل ؟

اينيز : هنا ! هل تعرفين كيف يصطادون العصـــافير بمرآة ؟ انا مرآة العصافير ، ياعصفورتى الصغيرة ، وأنت فى قبضة يدى ، لايوجد اى دمل ، ولا اثــر له ، ماذا ترين اذن ؟ اترين ماذا يكون الحال لو اخذت المرآة فى الكذب ؟ او اذا اغمضت عينى كما يفعل هو ؟ او رفضت النظر اليك ، اذن لضـــاع جمالك هباء فى هــواء الصـحراء ، لا . لاتخافى ، فلااستطيع أن أمنع نفسى من النظر اليك ، ولن احيد ببصرى عنــك ، وســأكون لطيفة معك على أحسن مايكون اللطف ، ولكن يجب أن تكونى انت ايضا لطيفة معى .

(صمت قصير)

استيل : هل اروق فى نظرك . . حقا ؟

اينيز : جدا . . فى الواقع .

(فترة صمت أخرى)

استيل : (مشيرة الى جارسان بحركة من راسها) لكننى اود لو نظر الى هو الآخر .

اينيز : بالطبع ! لآنه رجل . (لجارسان) لقـد كسب (جارسان لايجيب) لكن أنظر اليهـا ! (جـارسان لايجيب) لاتتظاهر ، إنك لم تفتك كلمة واحدة مما قلناه .

جارسان : هذا حق ، لم تفتنى منه كلمـة واحـدة ، حاولت أن أضع أصابعى فى اذنى لكن أصـواتكما كانت ترن فى رأسى ، ثرثرة سخيفة ، فهلاتتركانى الآن فى سلام انتما الاثنتان لاشأن لى بكما (

اينيز : لست مهتما بى يجوز ولكن .. هـذه الطفلة . الست مهتما بها ، انك لم تتخذ صفة التعالى هذه الا لتجذبها اليك .

جارسان : قلت لك ان تتركينى فى سلام : هناك شخص يتكلم عنى فى ادارة الجريدة ، واريد ان أصغى الى مايقول ، أما الصغيرة فانى لا أبالى بها ، اذا كان فى هذا مايسعدك .

استيل : شكرا !

جارسان : لم أكن اعنى بهذا ان اكون فظا .

استيل : ايها الحيوان !

(يقف الثلاثة كل منهم فى مواجهة الآخر فترة من الوقت)

جارسان : هانحن أولاء ! (لحظة) لقد توسلت اليكما أن تلوذا بالصمت .

استيل : كان الخطأ خطأها ، هى التى بـدأت ، فأنا لم أطلب شيئا منها ، وجاءت هى الى تقدم مرآتها .

اينيز : هـذا ما تقـولينه ، ولكنك كنت تحتكين به . وتجربين كل حيلة كى تغريه بالنظر اليك !

استيل : حسنا ، ولماذا لاينبغى أن أفعل هذا ؟

جارسان : انتما مجنونتان ؟ الا تريان المنحدر الذى ننزلق اليه ، بحق الرأفة اصمتا ، (لحظة) الآن نعود الى الجلوس بهدوء تام ، وسنغمض أعيننا ، ويحاول كل منا أن ينسى وجود الآخرين.

(هنيهة طويلة بعض الشيء ، يجلس ، تذهبان الى مكانيهما بخطى مترددة وتلتفت اينيز فجأة) .

اينيز : ان ننسى الآخرين ، ما هـذه الصبيانيات (ان شعورى بك ينفذ فى حتى العظام ، وصمتك يصرخ فى أذنى ، ولو استطعت أن تغلق فمك بالمسامير ، وأن تجتث لسانك من بين فكيك ، أيمنعك ذلك من أن تكون موجودا هناك ؟ هل تستطيع أن توقف تيار أفكارك ؟ انني اسمعها تدق مثل الساعة .. تك .. تك .. تك .. تك ، وانا واثقة انك انت ايضا تسمع أفكارى وعبثا تحـاول الانكماش على اريكتك ، ولكنك فى كل مكان ، وكل صـوت يتلوث لانك أوقفته أثناء عبوره ، لقـد سلبتنى كل شيء حتى وجهى ، فأنت تعرفه ، وأنا لا أعرفه ! وهى

.. استيل .. لقد سلبتنى اياها أيضا ، فلو كنا وحدنا ، أفتظن أنها كانت تعاملنى بنفس الطريقة التى تعاملنى بها الآن ؟ والآن ارفع يديك من فوق وجهك لانى لن أتركك فى سلام . ان هـذا الوضع يلائم القراءة تماما ، فانك تظل قابعا فى مكانك فى شبه غيبوبة حتى كانك تمثال من تماثيل بوذا ، وحتى لو لم أرها ، لاحسست بها فى عظامى ، انها تأتى كل صوت ، وكل حفيف من ملابسها من أجلك . وهى تبعث اليك بابتسامات انت لاتراها ، لا .. لن أطيق هذا ، انى اريد ان اختار جحيمى ، اننى افضل ان انظر فى العينين وان اصارع سـافرة الوجه .

جارسان : تصرفى كما يحلو لك ، وأنا أعتقد أنه لم يكن لنا مفر من الوصول الى هذه الحال ، فقد كانوا يعرفون كيف يصمتون ، ولكن ينبغى لى الا أسرف فى طلب المستحيل (يذهب نحو استيل ، ويداعب رقبتها بخفة) اذن ، فأنا اجذبك ، ياصغيرتى ؟ يبـدو أنك تغمزين لى بعينك ؟

استيل : لاتلمسنى .

جارسان : ولم لا ؟ يحسن بنا ، على أية حال ، أن نكون طبيعيين ، هل تعرفين أننى كنت أهيم بالنساء ؟ وكان بعضهن يهمن بى ، فخذى اذن راحتك ، فلم يعد لدينا مانخشى ضياعه ، فما الداعى الى الادب

واللياقة ، وما الى ذلك ؟ هذا بينى وبينك ! وعما قريب سنكون جميعا عرايا كأطفال ولدوا لتوهم .

استيل : دعنى .

جارسان : كأطفال ولدوا لتوهم ، حسنا ، لقد حذرتكما على أية حال ، طلبت منكما أقل القليل ، لاشيء سوى الهدوء ، وقليل من الصمت ، وضعت أصابعى فى أذنى وكان جوميز يتكلم واقفا بين المناضد ، وكل الزملاء فى الجريدة ينصتون اليه وستراتهم مخلوعة ، حاولت أن أنصت ، ولم يكن ذلك سهلا .. فحوادث الارض تجرى بسرعة البرق ، ألم يكن فى وسعكما أن تصمتا ؟ الآن انتهى الامر ، لم يعد يتكلم ، وكل ماكان يدور فى فكره عنى قد عاد الى راسه ، والآن يجب علينا أن نسير الى النهاية ، عرايا كما ولدتنا أمهاتنا ، اريد أن أعرف مع من أتعامل ؟

اينيز : انت تعرف ذلك فعلا ، ولم يعد هناك مزيد لتعرفه .

جارسان : انت مخطئة ، طالما لم يعترف كل منا بالاسباب التى أدت الى الحكم عليه ، فاننا سنظل جاهلين بكل شيء ، ابدئى انت أيتها المرأة الصغيرة .. لماذا؟ قولى لنا لماذا ؟ فان صراحتك ، والكشف عن أشباحنا ، تستطيع أن تجنبنا كثيرا من الكوارث . اذن تكلمى .. لماذا ؟

استيل : قلت لك اننى اجهـــل ذلك ، اذ لم يخبرونى بـه .

جارسان : أنا اعرف هذا ، انهم لم يخبرونى أنا الآخر . ولكن براسى فكرة لامعة ، اتخشين ان تكونى انت البادئة بالكلام ؟ حسن ، سأبدأ أنا (فترة) لست شخصا محترما جدا ،

اينيز : هذا معلوم ، كلنا نعلم انك فار .

جارسان : دعى ذلك ، فهذا أمر فرعى ، فأنا هنا لانى عاملت زوجتى بفظاعة ، هذا كل مافى الامر . طوال خمسة أعوام ، ومازالت تعانى ، بطبيعة الحال ، هاهى ذى : لا اكاد اتكلم عنهـا حتى اراهـا . ان جوميز هو الذى يهمنى ، ولكن هى التى أرى . الى أى حد وصل جوميز ؟ طوال خمسة اعوام ، انظرا، لقد أعادوا اليها أشيائى ، وهى الآن جالسة قـرب الشباك ، وقـد وضعت سسترتى على ركبتيها ، السترة ذات الاثنى عشر ثقبا ، والدم يلطخها كأنه الصدأ ، وحواف كل ثقب تحيط بها دائرة حمراء . انها قطعة من قطع المتاحف ، تحمل ندوب التاريخ، تخيلا أننى كنت البسها !.. والآن ، هل تستطيعين أن تسكبى دمعة ياحبى ؟ سينتهى بك الامـر الى البكاء ، بالتأكيد ؟ انت غير قادرة على هذا ؟ كنت اعود إلى بيتى ثملا ، تفوح منى رائحـة النبيـذ والنساء ، كانت قد انتظرتنى طوال الليل ، ولم تكن

تبكى ، أو توجه الى كلمة عتاب واحدة ، بالطبع ،
عيناها فقط كانتا تتكلمان ، عينان واسعتان
متساويتان ، أنا لا آسف على شيء ، لابد أن أدفع
الثمن ، ولكنى لن أهتم . الثلج يتساقط فى
الخارج ، الا تبكيان ؟ عليكما اللعنة ! انها امرأة
خلقت لكى تكون شهيدة ، رسالتها فى الحياة أن
تكون شهيدة)

اينيز : (بحنان تقريبا) ولماذا تسببت لها فى الآلام ، على هذا النحو ؟

جارسان : كان ذلك أمرا سهلا ، كان يكفى ان أوجه اليها كلمة واحدة لكى يتغير لونها ، شأن أى نبات حساس ، ولم تكن توجه لى كلمة لوم واحدة ، فأنا مولع بالمشاكسة ، كنت أراقبها وأنتظر ، لكنها لم تكن تذرف دمعة واحدة ، أو تصدر كلمةاحتجاج. كنت قد انتشلتها من الوحل ، أتفهمان ؟ هاهى ذى تربت على السترة دون أن تنظر اليها ، تتحسس الثوب بأصابعها ، ماذا تنتظرين ؟ قلت لك اننى لا آسف على شيء ، الحقيقة أنها كانت معجبة بى الى اقصى حد ، هل يعنى هذا شيئا بالنسبة لكما ؟

اينيز : كلا ، لم يكن أحد يعجب بى .

جارسان : من حسن الحظ ، من حسن حظك ، لاشك ان كل ذلك يبدو لك من قبيل الاشياء ، المبهمة ،

ولكن اليك هذه الحكاية الصغيرة ، كنت قد أنزلت في بيتي امرأة خلاسـية ، وكانت زوجتي تنـام في الطابق الاول ، ولابد أنها كانت تسـمع كل شيء ، كانت أول من يغادر الفراش في الصباح ، بينما كنا نحن نفضل البقاء فيـه حتى وقت متأخر ، ولذا كانت تحمل الينا قهوة الصباح .

اينيز : ايها الوحش !

جارسان : نعم ، وحش اذا شئت ، ولكن وحش محبوب (يبدو شاردا) كلا ، ليس هذا بالامر المهم ، هـذا جوميز ولكنه لا يتكلم عني ، ماذا كنت تقـولين ؟ وحسن ، طبعا وبالتأكيد ، والا فلماذا جئت الى هنا ؟ (مخاطبا اينيز) وانت ؟

اينيز : أما أنا ، فقـد كنت تلك التي يسـمونها امرأة ملعونة ، ملعونة منذ زمن بعيد ، لم تكن مفاجأة أن أكون هنا !

جارسان : أهذا كل مافي الامر ؟

اينيز : كلا ، كانت هناك أيضا مسألة فلورانس ، ولكنها قصة رجل ميت ، قصة بها ثلاثة موتى ، هو اولا . ثم هي ، وأنا . لم يبق هناك أحد ، فأنا مطمئنة ، كان حصداً تاما، لم تبق الا تلك الغرفة ، اني أراها من حين لآخر ، خالية ومغلقة الابواب . لا ، لقد فتحوها توا «للايجار» ، انها «للايجار» هناك لافتة على الباب ، أمر .. مضحك جداً .

جارسان : ثلاثة ! .. أقلت انهم ثلاثة موتى ؟

اينيز : ثلاثة

جارسان : رجل وإمرأتان

اينيز : نعم .

جارسان : حسن ، حسن ، (فترة صمت) هل انتحر ؟

اينيز : هو ؟ لا ، لم تكن لديه الجرأة اللازمة لهذا العمل، فقد اجتمعت لديه الاسباب ، ولكننا جعلناه يعيش عيشة الكلاب ، والحقيقة ، أنه صدمه ترام ، نهاية سخيفة ! كنت اسكن معهما ، وكان هو ابن عمى .

جارسان : هل كانت فلورانس شقراء ؟

اينيز : شقراء ؟ (تلقى نظرة على استيل) يجب أن تعرف انني لا آسف على شيء ، ومع ذلك فانني لست حريصة على أن أقص عليكما هذه القصة .

جارسان : كما تشائين .. ! اذن فقد سئمته ؟

اينيز : شيئا فشيئا ، كانت تثيرنى كل الأشياء ، فهو مثلا كان يحدث ضوضاء وهو يشرب ، صوت غرغرة ، تفاهات من هذا النوع ، كان مخلوقا مسكينا فى الواقع ، وهدفا للمطاعن ، لماذا تبتسم ؟

جارسان : على أية حال ، لانى لست هدفا للمطاعن .

اينيز : لاتبالغ فى ثقتك بنفسك ، لقـد تسللت داخـل نفسها ، فأصبحت ترى العـالم بعينى تركتـه واصبحت عبئا على أنا ، فاستأجرنا غـرفة للنـوم والجلوس فى الطرف الآخر من المدينة .

جارسان : وحينئذ ؟

اينيز : وحينئذ ، وقع حادث الترام : وكنت اذكر حالها كل يوم قائلة : هيه .. أيتها الصغيرة ، لقد قتلناه فيما بيننا ، (فترة صمت) انى امرأة قاسية القلب فى الحقيقة !

جارسان : وأنا ايضا .

اينيز : كلا . انت لست قاسيا ، بل شيئا آخر .

جارسان : ماذا ؟

اينيز : سأخبرك فيما بعد . عندما اقول اننى شريرة فاننى أعنى أننى لاأستطيع الحياة دون ذلك ، أنى أحتاج من أجل وجودى أن أجعل الآخرين يتألمون مثل جمرة متأججة ، جمرة فى قلوب الآخرين ، فاذا ماصرت وحدى انطفأت ، وقد اشتعلت فى قلبها طوال ستة شهور حتى لم يعد هناك الا الرماد . ذات ليلة إستيقظت ، وفتحت صنبور الغاز أثناء نومى ، ثم انسلت فى السرير ، الآن أنت تعرف كل شىء !

جارسان : حسنا .. حسنا !

اينيز : نعم ، ماذا يدور بخلدك ؟

جارسان : لاشيء ، سوى أن هذه ليست قصة ممتعة.

اينيز : طبعا ، ولكن ماذا يهم ؟

جارسان : كما تقولين ، ماذا يهم ؟ (مخاطبة استيل) وأنت ؟ ماذا صنعت ؟

استيل : كما أخبرتكما ، انني لاأعرف شيئا عن هذا الموضوع ، وعبثا أحاول أن أشحذ ذهني .

جارسان : اذن ، سنساعدك ، هذا المخلوق ذو الوجه المحطم ، من هو ؟

استيل : اى مخلوق .. اى مخلوق تعنى ؟

اينيز : أنت تعرفينه كل المعرفة ، ذلك الذى كنت تخافينه حينما دخلت الى هنا .

استيل : آه ، هو ! صديق لى !

جارسان : لماذا كنت تخافينه ؟

استيل : هذا شأنى ، ياسيد جارسان

اينيز : هل قتل نفسه من أجلك ؟

استيل : كلا بالطبع ، كم انت سخيفة !

جارسان : اذن لماذا كان يخيفك ، لقد أطلق الرصاص على راسه ، أليس كذلك ؟ وهكذا حطم وجهه .

استيل : لاتواصل حديثك ! ارجوك الا تواصل حديثك !

جارسان : بسببك ! بسببك !

اينيز : رمى نفسه بالرصاص بسببك ؟

استيل : أتركانى فى حالى، ليس هذا .. ليس هذا عدلا

أن تستفزانى هكذا ، أريد أن أغادر هذا المكان
أريد أن أذهب !

(تندفع نحو الباب وتهزه بعنف)

جارسان : اذهبى اذا استطعت ، انا شخصيا لاأتمنى
خيرا من هذا ، ولكن الباب مغلق من الخارج .
(استيل تدق الجرس ، والجرس لا يرن ، اينيز
وجارسان يضحكان ،استيل تستدير اليهما وتتكىء
بظهرها الى الباب)

استيل : (بصوت أجش) انكما كريهان ، كلاكما .

اينيز : كريهان ؟ نعم .. هذه هى الكلمة المضبوطة
الآن استمرى ، ذلك الشخص الذى قتل نفسه
من اجلك ، كنت عشيقته ، هيه ؟

جارسان : بالطبع ، كانت عشيقته ، وكان يريدها لنفسه
فقط ،اليس كذلك ؟

اينيز : كان يرقص التانجو كأحد المحترفين ، ولكنه كان
فقيرا معدما ، اليس كذلك ؟

(فترة صمت قصيرة)

جارسان : هل كان فقيرا أم لا ؟ اعطنا اجابة مباشرة

استيل : نعم ، كان فقيرا .

جارسان : ثم كانت لك سمعتك التى كنت تريدين المحافظة عليها ، فجاءك ذات يوم ، وتوسل اليك أن تهربى معه ، فسخرت منه .

اينيز : هذه هى الحكاية ، سخرت منه ، وهكذا قتل نفسه ؟

استيل : أبهاتين العينين كنت تنظرين الى فلورانس ؟

اينيز : نعم .

(فترة ، ثم تنفجر استيل بالضحك)

استيل : انتما بعيدان عن حقيقة الامر كل البعد . (تعتدل فى وقفتها مع بقائها مستندة بظهرها الى الباب ، وتواجههما) كان يريد أن أنجب له طفلا . استرحتما الآن ؟

جارسان : وانت لم تكونى تريدين طفلا ؟

استيل : كلا ، بالتأكيد ، ومع ذلك جاء الطفل لسوء الحظ ، فذهبت الى سويسرا لقضاء خمسة اشهر ، ولم يسمع أحد بالخبر . وولدت بنتا ، وكان روجيه بجانبى حينما ولدتها ، وسر سرورا لا حد له حين أصبحت له بنت ، أما أنا ، فلم أسر .

جارسان : وبعد ذلك ؟

استيل : كانت هناك شرفة تطل على بحيرة ، فأحضرت حجرا ضخما ، وكان يرى ماكنت أنوى عمله ،

فأخذ يصيح قائلا : «استيل ، لاتفعلى ذلك بحق الله» وعندئذ كرهته . ولقد راى كل شيء ، كان مستندا الى جدار الشرفة ، فرأى دوائر الماء وهى تنداح .

جارسان : وبعد ذلك ؟

استيل : هذا كل مافى الامر ، رجعت الى باريس ، أما هو فقد صنع بنفسه ماأراد .

جارسان : تعتقدين أنه رمى نفسه بالرصاص ؟

استيل : كان عملا سخيفا من جانبه ، فى الحقيقة ، ولم يشك زوجى فى شيء قط . (فترة) انى أبغضكما .

(تنشج بلا دموع)

جارسان : لاجدوى ، فى هذا المكان لا تسيل الدموع .

استيل : أنا جبانة ، جبانة ! (فترة) لو علمتما مقدار البغض الذى أكنه لكما !

اينيز : (تأخذها بين ذراعيها) يا صغيرتى المسكينة ! (مخاطبة جارسان) لقد انتهى سماع الاقوال ، فلامعنى لان تظل محتفظا بهذه السحنة التى تشبه سحنة القاضى الجلاد ؟

جارسان : القاضى الجلاد ؟ (ينظر فيما حوله) أنا مستعد لدفع أى ثمن من اجل رؤية وجهى فى مرآة (فترة) ما أشد الحر ! (ينزع سترته بحركة آلية) أوه ، لامؤاخذة ! (يشرع فى لبسها من جديد)

استيل : لاتهتم ، تستطيع ان تظل بالقميص . أما وهذا هو الموقف . .

جارسان : تماما . (يرمى بسترته فوق الاريكة) لاتحنقى على يااستيل .

استيل : أنا لست حانقة عليك .

اينيز : وانا ؟ هل انت حانقة على ؟

استيل : نعم .

(فترة صمت)

اينيز : والآن ياسيد جارسان ؟ هانحن أولاء عرايا تماما امامك . هل زادك هذا علما ؟

جارسان : لاادرى ، ربما زادنى بعض الشيء . . (بخجل) ألا يمكننا أن نحاول التعاون فيما بيننا ؟

اينيز : لست فى حاجة الى معونة .

جارسان : اينيز ، لقد احكموا وضع المصيدة بدهاء ، مثل بيت العنكبوت ، فاذا قمت بأقل حركة ، اذا رفعت يدك لتهوى بها على وجهك ، شعرنا ، استيل وانا ، بأثر الهزة ، لايمكن لأى منا أن ينجو وحده ، اننا مرتبطون ارتباطا وثيقا ، فاختارا (فترة) ماذا بك ؟

اينيز : لقد اجروها ، النــوافذ مفتوحة على مصراعيها وهنــاك رجــل جالس على سريرى ، سريرى عن

فضلك ! لقد اجروها ، أجروها ! أدخل ، أدخل .
لاتتحرج أيها الوحش . آه ، هناك امرأة أيضا ،
هاهي ذى تتجه نحو الرجل ، وتضع يدها على
كتفيه .. لماذا لايضيئان النور ؟ ان الدنيا تظلم ،
وسيقبلها الآن ، ولكن هذه حجرتى ، حجرتى !
الظلام حالك الآن ،لااستطيع ان أرى شيئا . ولكننى
أسمعهما يتهامسان ، يتهامسان ، هل سيرقد معها
فى فراشى ؟ ماهذا الذى قالته له ؟ الوقت ظهر ،
والشمس ساطعة ؟ لابد أننى أصاب بالعمى (فترة)
لقد أظلمت الغرفة ، لم أعد أرى أو أسمع
شيئا ، يبدو أن كل علاقة لى بالارض قد انتهت .
لااستطيع أن أثبت وجودى فى غير مكان الجريمة
(ترتعد) أشعر بأنى خاوية ، والآن ، اصبحت فى
النهاية فى عداد الاموات تماما . أصبحت هنا بكل
كيانى فى هذه الغرفة . (فترة) ماذا كنت تقول ؟
اكنت تتكلم عن تقديم المعونة لى .. أليس
كذلك ؟

جارسان : نعم .

اينيز : معاونتى فى أن افعل ماذا ؟

جارسان : فى احباط حيلهم الشيطانية

اينيز : وماذا تتوقع منى فى مقابل ذلك ؟

جارسان : أن تساعدينى ، ولن يتطلب ذلك الا القليل من

الجهد ، يا اينيز ، مجرد جذوة من الشعور الانساني .

أينيز : الشعور الانساني ! هذا ليس فى مقدورى ، انى فاسدة حتى النخاع ..

جارسان : وانا ؟ (فترة) على اية حال ، نستطيع ان نحاول .

اينيز : لا فائدة ، لقد جف معينى ، وليس فى مقدورى ان أتلقى أو أن اعطى ، فكيف تريد منى أن أساعدك؟ أصبحت غصنا ميتا ، ولن تلبث النار أن تلتهمه (تصمت وهى تحملق الى استيل التى دفنت راسها بين راحتيها) فلورانس كانت شقراء ، شقراء بطبيعتها .

جارسان : أتعرفين ان هذه الصغيرة مقدر لها ان تكون جلادتك ؟

أينيز : لعلى ، خمنت هذا .

جارسان : انهم سيظفرون بك عن طريقها ، أما أنا بالطبع فانى مختلف .. متباعد ، لا أعيرها أى التفات ، فاذا كنت من جهتك ..

اينيز : ماذا ؟

جارسان : ان هذا شرك ، وهم يراقبونك ليعرفوا هل ستقعين فيه ؟

اينيز : اعرف ذلك ، وأنت أيضا شرك ، أتظن انهم لم يتوقعوا كلماتك) وبالطبع هناك عديد من المزالق لانستطيع أن نراها ؟ كل ماهنا اشراك .. ولكن ، ماعسى ذلك أن يضير ؟ أنا أيضا شرك ، شرك نصب لها ، فربما كنت أنا التى أقتنصها .

جارسان : لن تقتنصي شيئا قط ، اننا نطـارد بعضـنا البعض ، ونحن ندور فى حلقة مفرغة ، مثل الجياد فى مجرى دائرى ، هذا جـزء من خطتهم طبعا ، افلتيها من يديك يا اينيز ، ابسطى يديك ، وافلتى كل شيء منهما ، والا فانك ستتسببين فى شـقائنا نحن الثلاثة .

اينيز : اترى أن ملامحى هى ملامح من يدع شيئا يفلت من قبضته ؟ أنا اعرف ماذا ينتظرنى . سأحترق ، وسيستمر هذا الى الابد ، نعم انى أعرف كل شيء، اتظن انى سأدع الامر يفلت من يدى ؟ سأظفر بها، وستراك بعينى كما كانت فلورانس ترى الآخر . فيم جئت تكلمنى .. عن شـقائك ! أؤكد لك انى اعرف كل شيء ولااسـتطيع الاشـفاق حتى على نفسى . شرك .. شرك .. الا اعرف ذلك ، واعرف انى فى مصيدة ، غارقة فيها حتى عنقى ، وانه ليس هناك مايمكن عمله . واذا كان ذلك يلائم فكرهم ، فهذا افضل .

جارسان : (وقـد اخـذ يكتفها) أما انا على أية حـال ، فأستطيع الاشفاق عليك ، انظـرى الى . . انـنا عاريان ، عاريان حتى العظام ، وأستطيع ان أنفذ حتى اعماق قلبك ، وهـذه رابطـة تجمع بيننا . اتظنين انى أريد بك شرا ؟ أنا لا أندم على شيء ، فأنا أيضا قد جف معينى ، ولكنى استطيع الاشفاق عليك .

اينيز : (التى تركت له نفسها طوال فترة كلامه ، تنفض يـده عنهـا الآن) لاتمسنى ، انى اكره ان يمسنى احد ، احتفظ بشغفتك لنفسك ،ولاتنسى ياجارسان ان هناك أيضا شراك منصوبة لك ، فى هذه الغرفة. وقد أعدت من أجلك . ولعلك تحسن صـنعا اذا انشغلت بشئونك الخاصـة . (فترة) ولكن ، اذا أردت أن تتركنا فى سلام ، انا والصغيرة ، فسأبذل كل جهدى فى الا اسبب لك اذى .

جارسان : (ينظر اليها لحظة ثم يهز كتفيه) لابأس .

استيل : (وقد رفعت رأسها) من فضلك ياجارسان .

جارسان : ماذا تريدين منى ؟

استيل : (ناهضة ومقتربة منه) انك تستطيع ان تساعدنى على أية حال .

جارسان : الجئى اليها اذا كنت تريدين العون .

(اينيز تقترب ، وتقف خلف استيل دون أن

تلمسها ، واثناء الحوار التالى تكلمها فى أذنها تقريبا ، ولكن استيل تحتفظ بعينيها على جارسان الذى يراقبها فى صمت ، وهى توجه ردودها اليه وحده ، كما لو كان هو الذى يستجوبها) .

استيل : أرجوك ، لقد وعدت بذلك ياجارسان . لقد وعدت ، فساعدنى بسرعة ، لاأريد أن أظل وحدى؛ لقد صحبته أولجا الى المرقص .

اينيز : صحبت من ؟

استيل : بطرس ، انهما يرقصان معا الآن !

اينيز : من هو بطرس ؟

استيل : صغير اخرق ، كان يسمينى مجرى الماء الذى ينظر فيه ، تخيل هذا ! وكان غارقا فى حبى ، وقد أقنعته ان يذهب معها الى المراقص الليلية .

اينيز : وأنت تحبينه ؟

استيل : انهما يجلسان الآن ، انها مبهورة الانفاس ، يالها من غبية لاصرارها على الرقص ! الا اذا كانت تبغى النحافة ، كلا ، انا لا أحبه ، بكل تأكيد ، فهو لم يتجاوز العام الثامن عشر من عمره ، وأنا لست خاطفة أطفال .

اينيز : اذن ، لماذا تهتمين بها ، فيم يعنيك هذا الأمر ؟

استيل : انه كان لى .

اينيز : لم يصبح لك شيء على الارض .

استيل : أقول انه كان لى ، كان كله لى .

اينيز : نعم ، كان لك ، ذات يوم ، والآن حـاولى أن تجعليه يسمعك ، حاولى أن تلمسيه ، أما أولجا، فانها تستطيع أن تلمسه ، وتستطيع أن تخاطبه ماشاءت ، وتستطيع أن تمسك بيديه ، وأن تمس ركبتيه .

استيل : نعم ، أنظر ، انها تدفع نحوه صدرها الضخم . وتبعث بزفيرها فى وجهه ، ياحملى الصغير المسكين ، الا تستطيع أن ترى كم هى مضحكة . لماذا لاتسخر منها ؟ آه ، كان يكفينى يوما ما أن أوجه اليها نظرة واحدة ، لكى تنزوى ، احقيقة أنى لم يعد لى وجود ؟

اينيز : لا شيء على الاطلاق ، لم يبق منك شيء فوق الارض ، ولا حتى ظل ، كل ما تملكيه هنا .. اتريدين قطاعة الورق ؟ أو تلك التحفة التى فوق المدفأة ؟ ان الاريكة الزرقاء لك ، وأنا ، ياصغيرتى ، أنا لك الى الابد .

استيل : انت لى ! اذن من منكما يجرؤ على تسميتى بمجرى مائه الذى ينظر فيه ليرى فتاته البللورية ؟ أنا لااستطيع ان أخدعكما ، فأنتما تعرفان أنى عفنة حتى النخاع ، ياعزيزى بطرس ، فكر فى ، لاتفكر

الا فى ، انقذنى ، فمادمت تفكر فى ، وتدعونى :
ياجدولى الرقراق ، يافتاتى البللورية ، فلن أكون
هنا الا جزئيا ، لن أكون شريرة الا جزئيا، سيكون
نصعى معك هناك سأكون نظيفة ، متألقة ـ صافية،
مثل جدول الماء الجارى ، أنظر الى وجهها فقط ،
انها حمراء اللون كالطماطم ، لا ، هذا شيء مضحك،
لقد سبق لنا أن ضحكنا منها معا مئات المرات ؛
وما هذا اللحن ، لقد كنت أحبه حبا شديدا ، آه
انه أنغام القديس لويس.. على كل حال . ارقصا،
ارقصا ، آه ، يا جارسان ، لو انك كنت تراهما
لمت من الضحك ، ولكنها لن تعرف قط انى أراها
نعم ، انى اراك يا أولجا ، بتسريحتك المتهدلة ،
وانت تبدين كالمخدرة ، يا عزيزتى ، أوه ، انك
الآن تطئين قدميه ، أمر يجعل المرء يموت من
الضحك . هيا بأسرع من ذلك ، بأسرع من ذلك .
انه يجذبها ، ويدفعها فى دورات ، منظر مخيف ،
كان يقول لى اننى خفيفة جدا ، وانه يحب الرقص
معى . هيا .. هيا .. (ترقص وهى تتكلم) قلت
لك يا اولجا انى أراك . انها تسخر من ذلك ،
وترقص خلال نظراتى . ما هذا ؟ ماذا قلت ؟
عزيزتنا المسكينة استيل ؟ لا تكونى مخادعة ،
فانك لم تذرفى ولا حتى دمعة واحدة فى جنازتى ؛
لقد بلغت بها الجرأة الى حد أن كلمته عن صديقتها

العزيزة المسكينة ، استيل ! كيف تجرؤ على الكلام عنى مع بطرس ؟ الآن ، حافظى على التوقيت ، ليست هى التى تستطيع أن تتكلم وترقص فى آن واحد ، ولكن ، ماذا عن .. ؟ كلا ! كلا ! لا تخبريه . أرجوك ، أرجوك ، لا تخبريه . احتفظى به ، افعلى به ما تشائين ، ولكن ، لا تخبريه .. عن .. ذلك (تكف عن الرقص) حسن ، الآن تستطيعين أن تحتفظى به ، أليس هذا مقززا يا جارسان . لقد كلمته عن كل شىء ، عن روجيه ورحلة سويسرا والطفلة . ان عزيزتنا استيل لم تكن بالضبط ، كلا ، انى لم أكن بالضبط ، هذا صحيح . ها هو ذا يهز راسه فى حزن ، ولكن ، لا يبدو انه دهش كثيرا ، ليس هذا ما يتوقعه المرء . الآن ، احتفظى به لنفسك ، فلن انازعك رموشه الطويلة ولا وجهه الذى يشبه وجوه البنات . هى لك تحت طلبك ، جدوله الرقراق، وفتاته البلورية ، ولكن البلورية اصبحت فتاتا . عزيزتنا استيل .. ارقصا ، ارقصا ، ارقصا ، استمرا فى الرقص ، ولكن حافظا على الايقاع ، واحد ، اتنين ، واحد ، اتنين . (ترقص) تطيب نفسى ببذل اغلى مافى هذا العالم لكى ارجع الى الارض . لحظة واحدة ، لكى أرقص معه ثانية (ترقص ثانية لفترة) لقد خفت صوت الموسيقى . وخفتت الأنوار وكأنها رقصة تانجو . لماذا اصبح

ايقاع الموسيقى هادئا ، ارفعوا ايقاعكم قليــلا اذا سمحتم ، لم أعد أسمع ، يالبعد المسافة بيننا ! لم أعد أسمع صوتا واحدا ، (تكف عن الرقص) انتهى كل شيء ، هذه هى النهاية ، الأرض هجـرتنى ، (مخاطبـة جارســان) لا تولى وجهك عنى ، من فضلك يا جارسان ، خذنى بين ذراعيك . (اينيز تشير الى جارسان من وراء ظهـر اسـتيل ، بأن يبتعد)

اينيز : (آمرة) والآن ، ياجارسان !

جارسان : (يتقهقر خطوة ، ناظرا الى استيل ، ومشيرا الى اينيز) ينبغى أن تخاطبيها هى .

استيل : (تتشبث به) لاتتحول عنى ، انك رجل ، ألست كذلك) ولست مخيفة الى هـــذا الحد ! ان كل واحد يقول أن لى شعرا جميلا ، وقد قتل رجل نفسه من أجلى على أية حال . انك مضطر أن تنظر الى شيء ما ، وليس هنا شيء تراه سوى الارائك ، وتلك التحفة الرهيبة ، والمنضدة . وأنا بكل تأكيد، افضل للبعد من كل هذا الاثاث الغبى . اسمع ! لقد سقطت من قلوبهم كما يسقط الطائر الصـغير من العش ، فالتقطنى ياعزيزى ، ادخلنى قلبك ، وسترى الى أى حد أستطيع أن أكون لطيفة !

جارسان : (يحرر نفسه منها ، بعد صراع قصير) قلت لك عليك أن توجهى كلامك الى هذه السـيدة .

استيل : اليها ؟ ولكنها لاتدخل فى الحساب ، انها امرأة .

اينيز : أوه ، أنا لا أدخل فى الحساب؟ أهذا ماترين ؟ ولكن ، اعلمى ياطائرى الساقط الصغير ، انك بمأمن من قلبى منذ زمن طويل ، رغم أنك لاتدركين؛ فلاتخافى ، وسأنظر اليك الى أبد الآبدين ، دون خفقة واحدة من جفنى ، وستعيشين فى نظرتى كذرة الغبار فى شعاع من أشعة الشمس .

استيل : شعاع من أشعة الشمس ؟ لاتقولى ترهات كهذه ! فقد لعبت على هذه اللعبة ، من قبل ، وقد رأيت أنها لاتفلح معى .

اينيز : استيل ، ياجدولى الرقراق، يافتاتى البللورية ،

استيل : فتاتك البللورية ؟ هذا تهريج مضحك ، هل تظنين أنك تخدعيننى بهذا الكلام ان كل الناس يعرفون مافعلته بطفلتى ، لقد أصبح البللور فتاتا على الارض ، ولكننى لا أبالى . لست سوى دمية جوفاء ، وكل مابقى لى هو سطحى الخارجى ولكنه ليس لك .

اينيز : تعالى يا استيل، وستكونين ماتريدين أن تكونى. وسواء كنت مجرى من الماء الرقراق ، أم مجرى من ماء وطين ، فانك ستجدين نفسك فى قاع عينى على النحو الذى تتمنين أن تكونى عليه .

استيل : دعينى فى سلام ! ليس لك عينان ! ماذا يجب

على أن أفعل لكى أتخلص منك ؟ لقـد خطرت لى فكرة ! (تبصق فى وجهها ، فتتركها اينيز فجأة) أهذا يكفى ؟

اينيز : ستدفع ثمن هذا يا جارسان .

(فترة ، جارسان يهز كتفيه ويذهب نحو استيل)

جارسان : اذن ، فأنت تريدين رجلا ؟

استيل : ليس أى رجل ، ولكن انت .

جارسان : دعينا من هذا التمثيل ، فأى رجل يستطيع أن يسد . ولكن تصادف أن وجدت هنا ، فأصبحت تريديننى .. حسنا ! (يأخذها من كتفيها) لست النوع الذى تريدينه فى الحقيقة ، فلست صفيرا أخرق ، ولا أرقص التانجو .

استيل : سأقبلك على علاتك ، وربما استطعت تغييرك .

جارسان : هذا ماأشك فيه ، وسأكون شارد الذهن ، فلدى فى راسى مهام أخرى .

استيل : أى مهام ؟

جارسان : هذا لايهمك .

استيل : سأجلس على أريكتك ، وأنتظر حتى تنتبه الى ، واعدك الا أضايقك على الاطلاق .

أينيز : (بضحكة عالية الصوت) هـذه هى الطريقة ، تذللى له ، فانت كلبة سخيفة ، ازحفى وتذللى ، بل انه ليس به من الوسامة مايغرى .

استيل : (لجارسان) لاتصغ اليها ، انها لا عين لها ولاآذان فهى ليست فى الحساب .

جارسان : سأعطيك ماأستطيع، وهو ليس بالشيء الكثير . ولن أحبك ، لان معرفتى بك تأبى على ذلك .

استيل : هل تشتهينى على أية حال ؟

جارسان : نعم .

استيل : هذا كل ماأريد .

جارسان : وفى هذه الحالة .. (ينحنى عليها)

اينيز : استيل ! جارسان ! أطقدتما عقليكما ! لستما وحدكما ، اننى هنا ، معكما !

جارسان : بالطبع ، ولكن ماذا يهم ؟

اينيز : تحت سمعى وبصرى ؟ انكما لا تستطيعان ، لا تستطيعان اتيان هذا .

استيل : ولم لا ؟ لقد كنت أخلع ملابسى أمام خادمتى .

اينيز : (وهى تقبض على ذراع جارسان) دعها ! لاتمسها بهاتين اليدين القذرتين ، يدى الرجل !

جارسان : (دافعا اياها بعنف) احذرى ، فأنا لست سيدا نبيلا ، ولا أعانى من وخز الضمير بخصوص ضرب امرأة .

اينيز : ولكنك وعدتنى يا جارسان ، وعدتنى ، اننى أطلب منك فقط ان تحافظ على وعدك .

جارسان : ولماذا ؟ اذا كنت أنت أول من نقض العهد .
(أينيز تدير ظهرها له ، وتتقهقر حتى قاع الغرفة)

اينيز : حسنا جدا ، تصرفا كما يحلو لكما . فأنا الطرف الاضعف ، واحدة ضد اثنين ، ولكن تذكرا انى هنا ، وانى أنظر اليكما . لن أحيد عنك بعينى ياجارسان ، وعندما تقبلها ، ستشعر بهما يخترقانك . نعم ، تصرفا كما يحلو لكما ، تطارحا الغرام وانتهيا ، اننا فى جهنم ، وسيأتى دورى .
(فى أثناء المنظر التالى ، تنظر اليهما دون أن تنطق بكلمة)

جارسان : (يرجع الى استيل ، ويأخذها من كتفيها)
الآن ، اذن ، شفتاك ، اعطنى شفتيك .

(فترة ، ينحنى عليها ليقبلها ، ثم يعتدل فجأة)

استيل : (حانقة) حقا ؟ (فترة) ألم أقل لك ألا تعيرها اهتمامك .

جارسان : لقد أخطأت . (فترة قصيرة) انه جوميز ، لقد عاد الى حجرة الطباعة ، وقد أغلقوا النوافذ ، لابد ان الوقت شتاء . منذ ستة شهور .. لقد حذرتك . انه سيجعل ذهنى يشرد فى بعض الاحيان أليس كذلك ؟ انهم يرتعدون ، وقد احتفظوا بستراتهم . من الغريب أن يكون الجو عندهم باردا .

الى هذا الحد ، فى حين اشعر أنا بالحرارة الى هذا الحد ، انهم يتكلمون عنى فى هذه المرة .

استيل : هل سيستمر ذلك وقتا طويلا ؟ (فترة قصيرة) يجب أن تقول لى على الاقل ماذا يقول .

جارسان : لاشيء ، لاشيء يستحق أن يقال ، انه خنزير، هذا كل مافى الامر (يرهف اذنه) خنزير ملعون . (يستدير الى استيل) لنرجع الى انفسنا ، هل ستحبينني ؟

استيل : (مبتسمة) .. من يدرى ؟

جارسان : هل ستثقين فى ؟

استيل : سؤال غريب حقا ؟ طالما ستكون تحت بصرى طول الوقت ، واينيز ليست بالمرأة التى أخشى منها الكثير فيما يتعلق بك .

جارسان : هذا بديهى . (فترة ، يترك كتفى استيل) كنت أتكلم عن نوع آخر من الثقة . (ينصت) قل ماتشاء ، قل ماشئت أيها الخنزير ، فلست هنا لكى أدافع عن نفسى (مخاطبا استيل) استيل ، يجب أن تولينى ثقتك .

استيل : يالك من شخص مزعج ! اننى اهبك شبابى ، وذراعاى ، وجسدى كله ،ويمكن لكل شيء أن يسير فى غاية البساطة .. ! ولكن أخشى الا تكون

لدى ثقة لك أوليك اياها . وأنت تحـرجنى الى اقصى حد . لابد أن تكون قـد فعلت فعلة نكراء حتى تلح على هكذا فى طلب الثقة .

جارسان : لقد أعدمونى رميا بالرصاص .

استيل : أعرف ، وذلك لانك رفضت الذهاب ، ثم لماذا لاترفض ؟

جارسان : لم .. لم أرفض بالضبط (بصوت آت من مكان سحيق) لابد أن اعترف انه يتكلم جيدا ، ويبرز القضية ضدى ، ولكنه لايقول ماذا كان يجب أن أفعل بدلا من هذا ، أكان يجدر بى أن ادخل على الجنرال ، وأقول له : «سيدى الجنرال أنا لن أحارب» ؟ يالها من حماقة ، لو قلت ذلك لزج بى فى السجن فى الحـال ، لكنى أردت أن أظهـر على حقيقتى ، عـلى حقيقتى ، أتفهمـين ؟ لم أرد أن يخنقوا صوتى (لاستيل) فأخذت القطار ، وضبطونى على الحدود .

استيل : والى أين كنت تريد أن تذهب ؟

جارسان : الى المكسـيك ، حيث كنت أعتزم افتتـاح جريدة تدعو للسلام (صمت قصير) حسنا ، لماذا لاتتكلمين ؟ قولى شيئا .

استيل : ماذا استطيع ان أقول ؟ خيرا فعلت مادمت لم تكن تريد القتـال (اشـارة تبرم من جارسـان)

ولكن ، ليس في وسعي ياحبيبي أن أعرف مايجب أن أرد به عليك .

اينيز : ألا تســـتطيعين التخمين ؟ أنا أســـتطيع ، انه يريدك أن تقولي له انه فر كالاسد لانه فر ، وهذا هو مايؤرقه .

جارسان : فررت ، ذهبت ، لن نتشاجر على كلمات .

استيل : كان يجب أن تفــر ، ولو انك بقيت لوضــعوا الاغلال في يديك .. أليس كذلك ؟

جارسان : طبعا . (فترة) استيل ، هل أنا جبان ؟

استيل : لاادرى ، لاتكن شخصا غير معقول ، فأنا لست داخل جلدك ، عليك أنت أن تقرر .

جارسان : (باشارة تدل على السأم) لاأستطيع تقرير شيء .

استيل : على كل يجب أن تتذكر ، لابد أنه كان لديك من الأســـباب ما جعلك تتصرف على النحــو الذى سلكته .

جارسان : نعم ، كانت لدى أسبابي .

استيل : انتهينا .

جارسان : ولكن ، هل كانت أسبابا حقيقية ؟

استيل : (متبرمة) انت معقد ، هذه مصيبتك ، تعذب نفسك من اجل تفاهات كهذى !

جارسان : لقد فكرت فى كل هـذا ، وأردت أن أتخـذ موقفا ، فهل كان هذا دافعى الحقيقى ؟

اينيز : بالضبط ، هذا هو السؤال . هل كان هـذا هو دافعك الحقيقى ؟ لاشك أنك فكرت طويلا ، ووازنت الاسباب التى تدعوك الى هذا ، والاسـباب التى لاتدعوك ، ووجدت أسبابا وجيهة للمسلك الذى سلكته ، ولكن الخـوف والبغض وجميع الغـرائز الصغيرة القذرة التى يخفيها الفرد ، كلها أيضا من الدوافع ياسيد جارسان ، حاول أن تكون أمينا مع نفسك ولو مرة واحدة .

جارسان : أتظنين اننى احتاج اليك لكى تخبرينى بهذا ؟ لقد رحت اسير فى زنزانتى طوال الليل والنهار ، اقطعها من النافذة الى الباب ، ومن البـاب الى النافذة ، وأخذت أرقب نفسى ، واتقصى أثرها مثل مخبر ، وفى النهاية خيـل الى انى قضيت حيـاة بأسرها فى استجواب نفسى ، ولكننى فى النهايةكنت أصغى الى شىء واحد ثابت فى الماضى ، هو أننى تصرفت بالاسلوب الذى تصرفت به ، فقد . . فقد أخذت القطار المتجه ناحية الحدود ، ولكن لماذا ؟ لماذا ؟ واخيرا فكرت . . ان موتى هو الذى سيضع حدا لهذا كله ، فاذا مت موت الشجعان ، برهنت على أننى غير جبان .

اينيز : وكيف واجهت الموت يا جرسان .

جارسان : فى حالة يرثى لها. (اينيز تنفجر بالضحك .
أوه ، لم يكن الأمر أكثر من مجرد خور جسمانى قد يحدث لأى انسان ، ولست أشعر بأى خجل من ذلك ، ولكن كل شيء قد بقى معلقا والى الابد .
(مخاطبا استيل) تعالى هنا يااستيل ، انظرى الى، فانى احتاج الى ان ينظر الى شخص ما وهم يتكلمون عنى فوق الارض .. وانا احب العيون الخضراء .

اينيز : العيون الخضراء ؟ انصتى اليه ! وانت ، يااستيل ، أتحبين الجبناء ؟

استيل : هذه مسألة لا اعتبار لها عندى ، بطل أو جبان، الامر عندى سيان ، فمادام الرجل يجيد العناق !

جارسان : هاهم مكومون فى مقاعدهم ، يجذبون انفاس سجائرهم ، وقد بدا عليهم السأم، انهم يقولون فى انفسهم : جارسان جبان ، يقولونها بضعف وتراخ، ولايدفعهم الى هذا القول سوى ايجاد اى موضوع للتفكير .. ذلك الولد جارسان كان جبانا ، هذا هو ماقرروه ، أولئك الاصدقاء الاعزاء ، وبعد ستة اشهر سيقولون : جبان مثل ذلك الغض جارسان. ما أسعد حظكما انتما الاثنتان ، لم يعد هناك أحد على وجه الارض يفكر فيكما ، أما أنا فسأموت موتا بطيئا .

اينيز : وزوجتك ، يا جارسان ؟

جارسان : زوجتى ؟ ألم اخبركما ؟ لقد ماتت .

اينيز : ماتت ؟

جارسان : نعم . لقد ماتت منـــذ حين ، منـــذ حوالى شهرين .

اينيز : من الحزن ؟

جارسان : طبعا ، من الحزن . وهكذا ترين ان كل شىء على مايرام : الحرب انتهت ، وامراتى ماتت ، وأنا دخلت التاريخ .

(ينشج بغير دموع ، ويمــر بيـــده على وجهـــه ، واستيل تتعلق به)

استيل : ياحبيبى المسكين ! انظر الى ياحبيبى . ارجوك ان تنظر الى ، المسنى ، المســنى ، (تتناول يده وتضعها على صدرها) ضع يدك على صـــدرى . (جارسان يقوم بحركة عصبية) دع يدك ، لاتتحرك ، سيموتون الواحد بعد الآخر . فما جدوى تفكيرهم؟ انسهم ، لم يعد هناك غيرى الآن .

جارسان : (وهـــو يخلص يده) ولكنهم لن ينســـونى ! سيموتون ، ولكن سيأتى بعدهم غيرهم يتســـلمون منهم الاسطورة ، فقد تركت مصيرى بين أيديهم .

استيل : أوه ، انـــك تسرف فى التفكير ، هـــــذه هى مشكلتك .

جارسان : وماذا أستطيع أن أفعل غير ذلك الآن ؟
فيما مضى كنت أعمل .. أوه ، لو انني اتيح لى ان
أرجع اليهم يوما واحدا فقط ؟ لدفعتهم بالكذب
.. أي كذب ! ولكنني سجين ، وهم يصدرون
أحكامهم على حياتى دون أن يهتموا بى والحق فى
جانبهم مادمت قد مت . مت وانتهيت . (يضحك)
انتقلت الى حيز الممتلكات العامة .

(فترة صمت قصيرة)

أستيل : (بحنان) جارسان .

جارسان : أمازلت هناك) اذن ، اصغ الى ، أريد منك
خدمة ، كلا ، لاتتقهقرى ، فأنا أعرف أنه يبدو لك
من الغريب أن يطلب أحد منك بعض العون ، لانك
لم تعتادى ذلك ، ولكنك لو بذلت بعض المجهود ،
لو انك أردت باصرار ، لاستطعنا أن نتحاب حبا
صادقا ، انظرى الى الامر بهذا الاسلوب ، هناك
ألف شخص يدعون بأننى جبان ، ولكن ماقيمة
الارقام ؟ فلو أن هناك نفسا ، نفسا واحدة تؤكد
بكل قواها اننى لم أفر ، واننى لايمكن أن أكون من
النوع الذى يفر ، وبأننى شجاع ، ونظيف ، وما
الى ذلك ، فان ايمان شخص واحد ينقذنى ، فهل
تؤمنين بى هذا الايمان ؟ لو فعلت ذلك لأحببتك
وأعززتك الى الابد . استيل ، هل تحبينني ؟

استيل : (تضحك) أيهـا الأبله ! أيها الأبله الحبيب !
أتظن أنه كان فى مقدورى أن أحب جبانا ؟

جارسان : ولكنك كنت تقولين الآن .

استيل : كنت أسخر منك ، انمـا أحب الرجـال ، ياجارسـان . الرجـال الحقيقيين ، ياعزيزى . الرجال ذوى البشرة الصلبة ، والايدى القـوية . وذقنك ليست ذقن جبان ، وفمك ليس فم جبان ، وصوتك ليس صوت جبان ، وشعرك ليس شعر جبان ، ولم أحبك الا من أجل فمك ، وصوتك ، وشعرك .

جارسان : هل تعنين هذا ؟ تعنينه حقا ؟

استيل : أتريد أن أقسم لك على ذلك ؟

جارسان : اذن ، أنا أتحداهم جميعا ، من منهم هناك ، ومن منهم هنا ، استيل ، سنخرج من الجحيم .

(اينيز تنفجر ضاحكة ، **يتوقف جارسان وينظر اليها**) **ماهذا ؟**

اينيز : (ضاحكة) ولكنها لا تؤمن بكلمة واحدة مما تقول ، كيف يتأتى لك ان تكون ساذجا الى هذا الحد ؟ «استيل ، هل أنا جبان ؟» . آه ، لو علمت مقدار سخريتها من هذا كله !

استيل : **اينيز ، كيف تجرؤين (مخاطبة جارسـان)**

لا تصغ اليهـا ، اذا أردت ثقتى ، فلابد ان تبـدأ بمنحى ثقتك .

اينيز : نعم ، نعم ، هيـا امنحها ثقتك ! انها فى حاجة الى رجل ، وفى حدود ذلك يمكنك أن تثق بها ، انها فى حاجة الى رجل له ذراع تلتف حول خصرها، ورائحة رجل ، وعينى رجل تتلظيان بالشهوة ، هذا كل ماتريده ، وفى وسعها أن تقول لك بأنك الاله القدير ، اذا ظنت أن هذا سيسعدك .

جارسان : استيل ، هل هذا صحيح ؟ أجيبينى ، هـل هذا صحيح ؟

استيل : ماذا تتوقع منى ان أقول ؟ الا تدرك كم هو من الجنون أن نجيب على أسئلة لانفهمها ؟ انا لاأفهم شيئا من كل هذه الموضـوعات . (تـدق الارض بقدمها) انك تعقـد لاامور ، فحتى لو كنت جبانا لاحببتك ، الا يكفيك ذلك ؟

(فترة صمت قصيرة)

جارسان : (للمراتين) ان نفسى لتشـمئز منكما أنتمـا الاثنتان .

(يذهب نحو الباب)

استيل : ما الذى تنوى عمله ؟

جارسان : سأرحل .

اينيز : (بسرعة) لن تذهب بعيــدا ، فالباب مغلق .

جارسان : سأجعلهم يفتحونه .

(يضغط على زر الجرس ، والجرس لايرن)

استيل : جارسان ، من فضلك ، من فضلك !

اينيز : (مخاطبة استيل) لا تقلقى يا صغيرتى ، فالجرس معطل .

جارسان : قلت لك انهم سيفتحون (يدق على الباب) لم أعد أطيق هذا ، لقد سئمتكما أنتما الاثنتين . (استيل تجرى نحوه ، فيدفعها) اذهبى ، ان نفسى تشمئز منك أكثر مما تشـمئز منهـا . لااريد أن أغوص فى عينيك ، أنت لزجة وناعمة (يدق الباب ثانية) أنت مستنقع واخطبوط .

استيل : ارجوك ياجارسان ، لاتذهب ، أعدك أننى لن أكلمك ثانيــة ، لن أضــايقك بأى شكل ، ولكن لا تذهب ، لقــد كشــفت أينيز عن مخالبهــا ، ولا أجرؤ على أن أبقى معها وحدى .

جارسان : دبرى أمرك ، فلست أنا الذى طلبت منك أن تأتى .

استيل : اوه ، كم انت حقير ! حقيقة انت جبان !

اينيز : (مقتربة من استيل) ماذا ، يا عصفورتى التى سقطت من العش ، ارجو أن تكونى راضية الآن ، لقد بصقت فى وجهى ، بالطبع لكي ترضيه ، وقد

ساء ما بيننا بسببه . ولكنه ذاهب. ونعم الخلاص.
وسيتركنا ليخلو لنا المكان كامراتين . امرأة
لامراة .

استيل : لن تربحى من وراء ذلك شيئا ، فاذا فتح هذا
الباب ، فسأرحل أنا أيضا .

اينيز : الى أين ؟

استيل : لايهم المكان ، مادمت بعيدة عنك الى اقصى
حد .

(لم يكف جارسان عن الدق على الباب أثناء
حديثهما)

جارسان : افتحوا الباب ، افتحوا الباب ، عليكم اللعنة !
أنا مستعد لقبول كل شيء ... آلات التعذيب ،
والقلابات المحمية ، والرصاص المنصهر ، والملاقط
والاغلال وكل ما يحرق ويسلخ ويمزق، سأتحمل
أى عذاب تعرضونه على ، أى شيء افضل من
عذاب الفكر ، من هذا الالم الزاحف الذى يقرض ،
ويعيث فسادا ، ويطوى المرء ، ولايوجع وجعا كافيا
ابدا . (يقبض على مزلاج الباب ، ويهزه بقوة) الا
تريد أن تفتح ؟

(الباب يفتح فجأة ، ويوشك جارسان أن يسقط
على الأرض) آه

(فترة صمت طويلة)

اينيز : والآن . يا جارســـان . لك مطلق الحرية فى أن ترحل .

جارسان : (يتأمل) انى أســـائل نفسى لماذا فتح هـــذا الباب .

اينيز : ماذا تنتظر ؟ اذهب بسرعة .

جارسان : لن أذهب .

أينيز : وانت ، يا استيل ؟ (استيل لا تتحرك، واينيز تنفجر بالضـــحك) اذن ، أى منـــا ؟ أى منا نحن الثلاثةسيذهب ؟ لقد سقط الحاجز ، فماذا ننتظر؟ ياله من موقف يدعو للضحك ؛ اننا لانستطيع أن ننفصل !

(استيل تثب عليها من خلفها)

استيل : لن ننفصل ؟ هيا ، ساعدنى ياجارسان ، عجل بمساعدتى ، سندفعها الى الخارج ، ونغلق عليها الباب ، وسيعطيها ذلك درسا .

أينيز : (تتصارع مع استيل) استيل ، أرجوك . دعينى أبقى ، لن أذهب ! لن اذهب ! لا تقذفى بى فى الممر .

جارسان : دعيها .

استيل : انت مجنون ، انها تكرهك .

جارسان : انا لم أبق هنا الا بسببها .

(استيل تترك اينيز ، وتنظر الى جارسان بدهشة)

اينيز : من أجلى ؟ (فترة صمت) حسن ، اذن أغلق الباب ، لقد زادت درجة الحرارة هنا الى عشرة أمثالها منذ أن فتح الباب . (جارسان يذهب نحو الباب ويغلقه) هل قلت من أجلى ؟

جارسان : نعم ، فأنت على أية حال تعرفين مامعنى أن يكون الانسان جبانا .

اينيز : نعم ، أعرف ذلك .

جارسان : وتعرفين ماهو الالم وماهو العار وماهو الخوف، وقد مرت بك أيام رأيت فيها نفسك فى أعمق أغوارها . وكان ذلك يقض مضجعك ، وفى اليوم التالى كنت لاتعرفين ماذا تفهمين ، ولاكيف تصلين الى فك طلاسم الرعب الذى كشف لك فى اليوم السابق ، نعم .. أنت تعرفين ثمن الالم ، وعندما تقولين أنى جبان ، فانك تعرفين من التجربة ما يعنيه هذا ، أليست تلك هى الحقيقة ؟

اينيز : نعم .

جارسان : اذن ، اذن ، انت التى يجب على ان اقنعك ، لانك من جنسى . أتظنين انى كنت انوى الذهاب حقا ؟ كلا ، لم يكن فى وسعى أن اتركك هنا تعملين فكرك فى هزيمتى ، وفى راسك تتوارد كل هذه الافكار .

اينيز : أتريد حقا اقناعى ؟

جارسان : لم يعد لى هدف غير هذا الآن ، اننى لم أعد أسمعهم ، وربما كان معنى هذا أنهم انتهوا منى الى الأبد . لهذا أسدل الستار ، ولم يعد منى شيءعلى الارض ، ولا حتى رسما لشخص جبان . والآن ، يا أينيز ، ها نحن وحدنا . وليس هناك الآن من يفكر فى الا أنتما الاثنتان ، أما هى فلا حساب لها ، أنت التى تهمنى يامن تكرهيننى ، لو آمنت بى ، لنجوت على يديك .

اينيز : لن يكون ذلك من الأمور الهينة ، أنظر الى ، فانى امرأة عنيدة .

جارسان : سأعطيك كل مايلزم من الوقت .

اينيز : نعم لدينا الكثير من الوقت .. كل الوقت .

جارسان : (يضع يديه على كتفيها) اصغى الى ! كل شخص له هدفه فى الحياة ، حافز أساسى ، أليس كذلك ؟ أما أنا فلم أكن أعبأ لا بالمال ولا بالحب ، كنت اريد ان اكون رجلا . رجلا حقيقيا رجلا بمعنى الكلمة كما يقولون ، وراهنت بكل شىء على حصان واحد بعينه .. فهل من الممكن ان يكون المرء جبانا اذا اختار لنفسه اوعر الطرق واكثرها خطورة ؟ وهل يستطيع الانسان الحكم على حياة كاملة بحدث مفرد واحد ؟

اينيز : ولم لا ؟ لقد ظللت ثلاثين عاما تحلم بانك بطل .
وكنت تتجاوز عن الآلاف والآلاف من صغار الاخطاء
لان البطل بطبيعة الحــال لايمكنه أن يخطىء فمـا
أيسر ما اخترت ! ثم جاء يوماصطدمت فيه باشارة
الخطر الحقيقي ، فأخذت القطار الى المكسيك .

جارسان : تقولين انني كنت أحلم ، لم يكن هذا حلما ،
فعندما اخترت الطريق الاشق ، وصلت الى قراري
عن عمد ، والانسان مايريد لنفسه أن يكون .

اينيز : برهن على ذلك على انه لم يكن حلما . فافعال
الانسان وحدها هي التي تقرر معدن الانسان .

جارسان : لقد مت قبل الاوان ، لم يترك لي الوقت لكي
أحقق بطولاتي .

اينيز : انما يموت الانسان دائما قبل الأوان .. أو بعد
فوات الاوان ، وفي كلا الحالين تكون حياة الانسان
كلها قداكتملت وفي تلك اللحظة يجب عليه أن يصفي
الحساب ، فانك لست شيئا آخر غير حياتك .

جارسان : أيتها الحية الرقطاء ، عنـدك لكل سـؤال
جواب !

اينيز : هيا ! هيا ! لا تيأس ! ليس اقناعي بالأمر العسير
استجمع ارادتك يارجل ، وحاول أن تجـد بعض
الاعذار ، (جارسان يهز كتفيه) آه ، ألم أكن على

حق حين قلت لك أنك قابل للطعن ؟ آه ، ستدفع الثمن ، وياله من ثمن ! أنت جبان ياجارسان ، لانى أريد ذلك ، فهل تسمع ؟ أريد ذلك ! ومع هذا أنظر الى ، هل ترى كم أنا ضعيفة ! لست الا نفسا يتردد فى الهواء . نظرة تراقبك ، فكرة بلا شكل تحاول فهم حقيقتك . (يندفع اليها ويداه مبسوطتان) آه ، هاهما تنبسطان ، هاتان اليدان الكبيرتان ، هاتان اليدان الغليظتان ، يدا الرجل ! ولكن ماذا تريد ؟ انك لاتستطيع باليدين أن تخنق الافكار . ليس امامك اى مجال للاختيار ، وينبغى عليك أن تقنعنى ، انك فى قبضة يدى !

استيل : جارسان .

جارسان : ماذا ؟

استيل : اثأر لنفسك .

جارسان : وكيف ؟

استيل : قبلنى ، وسترى أنها تموت كمدا !

جارسان : هذا عين الصواب ، يا اينيز ، أنا فى قبضة يدك ، ولكنك أنت أيضا فى قبضة يدى !

(يميل على استيل ! اينيز تبعث بصرخة)

اينيز : اوه ، أيها الجبان، أيها الضعيف . تعزى نفسك مع النساء ؟

استيل : هذا صحيح ، يا اينيز ، ازعقى بأعلى صوتك.

اينيز : كم تلائمان بعضكما ! آه ، لو رأيت كفه الضخم ميسوطا على ظهرك ، وقد ضغط على كرش ثوبك الحريرى ، احذرى رغم هذا (انه ينضح بالعرق وستترك يده على ثوبك علامة زرقاء .

استيل : اصرخى يا اينيز ، اصرخى ، ضمنى اليك بقوة ياجارسان ، فسوف يقتلها هذا كمدا ، ويالها من نهاية !

اينيز : نعم ، ياجارسان، انها على حق، استمر، ضمها اليك بقوة ، حتى تشعر ان جسديكما يذوبان ، يذوبان أحدهما فى الآخر مثل كتلة من اللحم الدافئ النابض ، ان الحب عزاء عظيم ، اليس كذلك ، ياصديقى ؟ عميق ومظلم مثل النوم ، ولكننى سأحرمك طعم النوم .

(اشارة من جارسان)

استيل : لاتصغ اليها ، اضغط بشفتيك على فمى ، أوه ، اننى ملكك ، ملكك ، ملكك .

اينيز : حسنا ، ماذا تنتظر ؟ افعل ما تؤمر به ، ياله من مشهد جميل ، الجبان جارسان يفهم استيل قاتلة الاطفال ، يضمها بين ذراعيه القويتين ، ويضع كل واحد رهانه . هل يجرؤ جارسان الجبان على تقبيل

السيدة ، أم لا ؟ ماهو رهانكم ، اننى أراقبكما ، كل شخص يراقبكما ، وأنا وحدى جمهور بأسره. هل تسمع صوت الجمهور ياجارسان ؟ هل تسمع الجمهور ؟ هل تسمعه وهو يهمهم ياجارسان) يهمهم ، ويتمتم .. جبان ! جبان ! جبان ! جبان ! هذا مايقوله الجمهور .. وعبثا تحاول أن تهرب . لن ادعك تفلت ، ما الذى ترجوه من شفتيها السخيفتين ؟ النسيان ؟ ولكننى لن أنساك ، لست أنا التى انسى ! أنا التى يجب عليك أن تقنعنى ، فتعال .. اننى أنتظر ، تعال الآن .. انظرى كم هو مطيع ، مثل كلب مدرب يجىء عندما تناديه سيدته ، انك لاتستطيعين الاحتفاظ به ، ولن تحتفظى به .

جارسان : الن يأتى الليل ابدا ؟

اينيز : ابدا .

جارسان : وسترينني دائما ؟

اينيز : دائما .

(جارسان يتحرك بعيدا عن استيل ، ويأخذ بضع خطوات عبر الغرفة ، يتجه ناحية التحفة البرونزية)

جارسان : هذا البرونز . (يربت عليه متأملا) نعم ، هذه هى اللحظة ، وهاأنذا انظر الى هذا الشىء واعلم اننى

فى الجحيم ، قلت لكم ان كل شىء مرتب من قبل ، فقد كانوا يعلمون اننى سأقف بجوار المدفأة ، أربت بيدى على هذا الشىء من البرونز ! وكل عدد النظرات منصبة فوقى .. تلتهمنى ! (يلتفت فجأة) ماذا ؟ مجرد اثنتين ؟ وكنت أظنكما أكثر عددا . (يضحك) اذن ، هذا هو الجحيم ! لم أكن لاصدق ابدا ، هل تذكران كل ماقيل لنا عن غرف التعذيب ، والنار ، والوقود ، والطين المحترق ، يالها من حواديت عجائز ! ليست هناك حاجة الى أسياخ الشوى .. ان الجحيم هو الآخرون !

استيل : حبيبى ، ارجوك .

جارسان : (وهو يدفعها) دعينى ، انها بيننا ، وليس فى مقدورى أن احبك وهى تراقبنى .

استيل : حسنا ، فى هذه الحالة سأمنعها من مراقبتنا . (تتناول قطاعة الورق من فوق المنضدة ، وتهجم على اينيز ، وتنهال عليها طعنا)

اينيز : (ضاحكة ، وهى تحاول التخلص منها) انت ولاشك مجنونة ، ماذا تظنين نفسك تفعلين ؟ انت تعرفين تماما اننى ميتة !

استيل : ميتة ؟

(تسقط قطاعة الورق من بين يدها ، تسود فترة

صمت ، إينيز تلتقط الوراقة ، وتنهال على نفسها طعنا فى جنون)

اينيز : ميتة ! ميتة ! فلا السكين ، ولا السم، ولا حبل المشنقة ، كلها تجدى ، فقد تم ذلك من قبـل ، افهمت ؟ للمرة الاخيرة ، كم هو مضحك ، أن نظل هنا معا الى الابد . (تضحك) .

استيل : (تنفجر ضاحكة) الى الابد ؟ ياالهى ، ماأغرب هذه الفكرة ؟ الى الابد ؟

جارسان : (ينظر الى المراتين ، ويشاركهما الضحك) الى الابد ، والى الابد ، والى الابد .

(يتهادون جالسين كل منهم على اريكة ، تسودفترة صمت طويلة ، يتلاشى ضحكهم ، ويموتون كل منهم فى الآخر)

جارسان : اذن ، لنستمر !

ســـتار



الأيـام السعيدة

للكاتب العبثي صمويل بيكيت

هذا الكاتب العبثى ..
وهذه المسرحية اللامعقولة !

لقد تعودتم أن تروا شكل العمل الفنى منفصـلا عن فحواه تعودتم أن تتلقوا المضمون من غير أن تعانوا تجربة الشكل .

صمويل بيكيت

● بيكيت ويونسكو .. هـذان الكاتبان جاء كل منهما من نبع ليصب فى واد ، فاتفاقهما تلاق بين عقليتين، واختلافهما تبـاعد بين مزاجين، ولكنهمـا باتفاقهمـا واختلافهما معا استطاعا أن ينتزعا أكبر مظاهرة درامية فى العصر الحـاضر ، مظاهرة أخـذت تكبر وتتطـور ويسـتفحل أمرها ، حتى أصبحت فى النهـاية تشـكل

ثورة من أخطر ما شـــهده تاريخ الأدب المسرحى من ثورات . وهى الثـــورة التى يطلقـــون عليهـــا أحيـــانا اسم العبث وأحيـــانا أخـــرى اســم اللامعقـــول ، والتى مهما اختلفت تسميتها الا انها لا تقـــل فى عنفهـــا وخطر نتائجها عن تلك الثورة التى أحـــدثها بيكاســـو فى الفن الحـــديث ، حينمـــا نادى بضرورة أن نســـتبعد لفظ «الصورة» ونستخدم لفظ «اللوحة» ، لان استخدامنا لفظ «تصوير» هو الذى يوحى بأننا ازاء صور لاشـــياء يمكن معرفتها على الفور ، وتسميتها بأسماء نستخدمها فى حياتنا اليومية . فى حين أن اللوحة يجب تعريفها بأنها مسطح يحمل الوانا موزعة بشكل معين ، وأن اللوحة فى صميمها غاية نفسها ، لا مجرد وسيلة لاستثارة قصص ومعانى وافكار تنتمى الى دائرة الوصف الادبى ، لا الى دائرة التحليل الفنى التشكيلى .

وهذا معناه أن فن التصوير الحديث قد أصبحت له لغته الخاصة ، التى تقتضى منا اعادة تربية العين من الوجهة الجمالية أو من الوجهة الاستاطيقية لقراءة اللوحة التجريدية قراءة جـــديدة ، مختلفة كل الاختلاف عن قراءتنا التقليدية للوحة التجســـيدية ذات الموضـــوع الواقعى المجسم أو المشخص ، طالما أن الفن التجريدى الجديد ، الذى يمكن تسميته بالتصوير اللاتصـــورى أو بالفن التشكيلى اللاشكلى جديد فى كل شىء .

ومصدر الخطورة فى هذه الثورة .. ثورة العبث أو اللامعقــول ، انها طرحت قضـيـة الفن الدرامى طرحا جـديدا ، وانتهت الى أن الفن الدرامى الحـديث ليس تطويرا للفن الدرامي القديم بمقدار ماهو ثورة عليه ، فالفن القديم تقليد ومحاكاة ، أما الفن الحديث فخـلق وابتكار ، وهو لايصور الطبيعة ويكرر الاشياء بل يحاول أن يوسع من نطاق الطبيعة وأن يضيف الى الاشياء ، ويحـاول كذلك أن يثور على الواقع الخـارجى المألوف لا بتقديم مايشبهه ويحاكيه بل بتقديم مايعادله ويوازيه، ومن هنا جاء بحث الفنان الدرامى الجـديد عن عـوالم أخرى جديدة ، وعن ايقاعات ومؤثرات جديدة ، بل وعن قيم ومبادىء فنية جديدة مغايرة لتلك التى اعتدناها من زمان فى الفن التقليدى .

ولانذهب بعيدا اذا قلنا ان مسرح العبث كان رد فعل للمسرح الوجودى ، بل كان فى شكله ومضمونه معركة فكرية مع هذا المسرح ، بعد أن عجزت شخصيات هـذا المسرح المحكوم عليها بالحرية كما تقول عبارة سارتر أو المسئولة عن «دم الآخرين» كما يقـول عنوان مسرحيـة سيمون دى بو فوار ،ان ترضى الشباب الساخط والرافض فى السنوات الأخيرة ، وهى السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الثانية ، وجعلت الشخصيات الانسانية مطمورة فى شئون الحياة اليومية ، غريقـة فى دهاليز الصمت ، وسراديب الفراغ ، لاتتصل بغيرها الا بمقدار وعيها بذاتها لانها غافلة عن معنى وجود الآخرين .

وهكذا استطاع بيكيت ويونسكو كلاهما أن يزحزحا سارتر عن مكانه ، وأن يحلا شخصية الانسان الشاعر بغربته وغرابته واغترابه . محل شخصيات الوجوديين.. تلك الشخصيات الثرثارة المحكوم عليها بالحرية . كما استطاع كتاب العبث منأمثال آداموف وآرابال وأوديبرتي وجان تارديه وجان فوتييه وجان جينيه ، فضلا عن الكاتب رينيه دي أوبالديا ، والشاعر العربي الاصل جورج شحاده ، أن يجسدوا ماوصفه يونسكو «بالشعور باللاواقع» وأن يردوا الى الجسد البشرى اعتباره ، وأن ينزعوا عن الشخصية الوجودية رداء المنبرية وتبعة التفلسف . لكي يفتحوا آفاقا جديدة فى الرؤية والتجربة، فى اللغة والاسلوب ، فى كل ماكان لابد للمسرح أن يخطوه بحثا عن طريق أو طرق جديدة .

غير أن هذا الطريق الجديد فى المسرح، الذى افتتحه كتاب العبث وان لم ينتهوا من وضعه بعد ، قد أوجد نوعا من سوء التفاهم بين الكاتب والجمهور ، الامر الذى جعل من واجب الناقد الدرامى أن يبذل قصارى جهده للتخفيف من حدة سوء التفاهم هذا ، والذى يضاعف من احساس الناقد بهذه المسئولية ، ان مسرح العبث لم يعد مسألة فرنسية بحتة ، وانما تأثير هذا المسرح استطاع أن يعبر نهر السين ، ليبسط ظلاله تأليفا وتمثيلا على أنحاء مختلفة من العالم ، ولتجد فيه الطبقة المثقفة الساخطة والرافضة والباحثة عن قيم حضارية

جديدة ، شيئا مفاجئا ومبهرا ، هو فى حقيقته مزيج من النقد الاجتماعى القاسى ، والنزعة الميتافيزيقية الحادة، وشهوة تمزيق الواقع وتشويهه كتعبير عن الصراخ فى وجه العصر !

وعلى ذلك ، فان بدا عمل الفنان الدرامى الحديث « لامعقولا » فلأنه ابتكار ، والابتكار لايكون كذلك الا اذا كان غير مألوف ولامعتاد ، وان بدا عمله خاليا من المعنى ، فلأنه لايستطيع أن يفصح عن معناه ، ولان الخلق نفسه هو المعنى ، وان بدأ أنه لايدل على شىء ، فذلك لأنه لايصور شيئا ، وانما يخلق شيئا آخر جديدا ، وهذا كله هو ماعبر عنه بيكيت بقوله :

« اننا هنا امام عمل يحتوى تعبيرا صريحا مباشرا ، فان أنتم عجزتم عن فهمه وادراكه ، فالعيب فيكم وليس العيب فى الاشياء ، وماذلك الا لانكم تعودتم ان تروا شكل العمل الفنى منفصلا عن فحواه ، تعودتم ان تتلقوا المضمون من غير ان تعانوا تجربة الشكل » .

غير ان الشكل الذى يهتم به بيكيت ، ليس هو الشكل بمعناه المألوف المعتاد ، والذى نضعه فى مقابل المضمون ، وانما هو شكل المعنى .. او شكل الفكرة ان صح هذا التعبير ، فبيكيت بعد أن استقام له المضمون وبلغ به اقصى مداه ، وذلك فى صورة نظرة عامة الى المواقف والاشخاص والاشياء ، نظرة مؤداها عبارته

المشهورة التى رفعها شعارا لفلسفته : « اننا نخرج من ظلمات الرحم الى ظلمات القبر مارين بظلمات الحياة» .
اقول ان بيكيت لما استقام له المضمون استدار الى الشكل لا شكل المضمون وانما شكل الافكار ، فعند بيكيت أن الفكرة لها شكل ، هذا الشكل هو مايهمه وان كان لايؤمن به ، وهذا مايعبر عنه بقوله : «انني لأهتم بشكل الافكار، وان كنت لا أومن بها» . وهو يضرب لذلك مثلا عبارة قالها القديس اوغسطين عن اللصين اللذين صلبا الى جوار السيد المسيح ، احدهما هلك والآخر نجا ، يقول : «لاتغفر فأحد اللصين هلك .. لاتيأس فأحد اللصين نجا» . فهذه العبارة عند بيكيت لها شكل .. هذا الشكل هو الذى يهمه ، كائنا ماكان المعنى الكامن فى بطن الشكل !

والواقع ان هذا الاتجاه فى الفن له سوابقه فى الفلسفة ، وبخاصة عند الفيلسوف الالمانى المعاصر ارنست كاسيرر ، الذى ذهب فى كتابه الكبير والشهير : « فلسفة الاشكال الرمزية » الى أن الفعاليات الانسانية .. كالاسطورة والدين واللغة والفن والتاريخ والعلم تمثل صورا او رموزا او اشكالا للحضارة الانسانية ، وهى على تكثرها وتنوعها ترتد جميعا الى وحدة واحدة، ولابد لنا أن ندرس هذه الاشكال لكى نتعرف على الوضع الموضوعى لكل منها ، ولكى نكتشف هذه الوحدة الوظيفية التى تربط بينها ، فنحن على حد تعبير هذا

الفيلسوف المعاصر : «نضع اشكالا داخلية للاشـــياء والافكار الخارجية» . والفن كسائر الاشـكال الرمزية ليس نسخا حرفيا لحقيقة جاهزة معطاة ، وانما هـــو احدى الطرق المؤدية الى نظرة موضوعية للاشياء وللحياة الانسانية !

ان لمسات الفرشاة هى فى الوقت ذاته همســات فكرية ، والمسرحية التى تتكون من منظومة من الاشارات والرموز ليست الا مرآة تعكس تأملات الفنان .. لا فى العالم الخارجى فحسب ، بل بصورة خاصة فى العالم الداخلى الذى يعيش فيه الفنان فى أعماق ذاته ، لقــد أصبح الكاتب العبثى كالفنان التجريدى ، لايعبر عن نماذج خارجية ثابتة ومنســقة الى حــد كبير ، بل عن نماذج داخلية هى أقرب الى البوادر والسوانح منها الى الافكار الواضحة أو الأشياء الجاهزة .

وعلى ذلك فالمسرح العبثى يتحدى المسرح ، فهو لايقص قصة ، ولايحكى حــكاية ، ولايســعى للربط أو الحبك ، فالحبكة تكاد تكون معدومة ، والموضوع لايتكون من حوادث تتابع فى الزمن ، بل من حوادث قليلة تافهة تقع فى آن واحد ، كما أنه لايتكون من سلسلة أحاديث تعبر عن أفكار مترابطــة ، لانه ليست هنــاك حــوادث تتسلسل فتتعقد وتنفرج حينا آخر ، واذا كان لابد من الفاظ لادارة الحوار ، فهى ليست الفاظ مستمدة من اللغة التى نستعملها لتوصيل المعانى الى الآخرين ، واذا

كان لابد لهذه الالفاظ من أن تعبر عن شيء ما ، فليس هو الشيء العادي أو المألوف الذى يجد قوالب اللغة مهيأة للتعبير عنه .

ان كتاب العبث أو اللامعقول لايتناولون فى مسرحهم تلك الموضوعات الخالدة التى الهمت كبار الكتاب الكلاسيكيين ، فهم لايتحدثون عن الحب والكراهية ، او الغيرة والجشع ، أو الخيانة والبطولة او ماشابه ذلك مما نجده فى مسرحيات كورنى وراسين ، أو حتى جان جيرودو وجان أنوى ، وهم لايصورون شخصيات في موقف ، شخصيات تختار ماهيتها من خلال وجودها فى موقف بالذات ، على نحو مانجد عند الكتاب الوجوديين من أمثال سارتر وكامى وانما كتاب مسرح العبث يتناولون العواطف البشرية فى طورها الجنينى ، فى شكلها الرخو المائع ، فى حالتها البدائية الاولى ، ومع ذلك فان هذه الشخصيات العبثية لاتلبث طويلا حتى تدب فيها الحياة ، وعلى الرغم من أنها نكرة وعارية من الاوصاف الاجتماعية الدقيقة ، فانها تمثل نماذج حية واقعية من بنى الانسان !

ومن هنا ، كانت ثورة العبث او اللامعقول ثورة جديدة كل الجدة ، فهى تتضمن التجديد فى الشكل والمضمون معا ، وهى حركة بذاتها لايمكن مقارنتها بحركات درامية اخرى كالواقعية والتعبيرية اللتين لم تتضمنا سوى التجديد فى المضمون ! فالاولى لاتزال

تستوحى الواقع الخارجى وان سعت الى تفسير هـذا الواقع أو تغييره ، فهى تتغلب على مشكلة البعد الثالث برده الى البعدين اللذين يتمثلان فى المشكلة والحل ، وتسمح للمتفرج بأن يدور حول المشكلة دون أن يتحرك ، فالمتفرج هو المركز والعالم يدور من حوله ، على نحو يذكرنا بالنظرة القديمة التى تجعل من الارض مركز الكون ومن الانسان محور الوجود ، أما التعبيرية باستلهامها النموذج الداخلى الذى يحمله الكاتب الدرامى فى أعماق ذاته ، تحاول أن تقدم مضمونا مثيرا للدهشة والاعجاب، بشىء بالقلق الذى يسيطر على قلب الانسان المعاصر ، وصراعه مع عصر الآلة والميكنة وكل ماهو صناعى وينشد شيئا من السلوى والعزاء يضىء فى جوانب قلب الانسان المعتم وميضا من الامل . أما العبثية فانها تقدم اللحن الاخير فى سيمفونية المأساة ، او هى على حد تعبير الفيلسوف العظيم نيتشه « مولد المأساة من روح الموسيقى » ... لقد شدت الاوتار الى أقصى مداها ، فانعدم اللحن ، وماتت النغمة ، ودوت صرخة حادة ، بل صرخة صامتة من شدة حدتها ، صرخة استفهام !

ثم ماذا ؟

لاشىء .. وكل شىء !

لاشىء سوى عودة الحياة الرتيبة المألوفة ، والكلام المتداول المتواتر ، فقد التحمت القشرة وسمكت ، وزال

لدوار ورسخت الاقدام ، وجمدت الابتسامة ، وخبت
لنار فى العينين ، وعاد القناع الى الوجه القديم .. فهيا
يها الخادعون المخدوعون ، البسوا أقنعتكم ، وعودوا
لى عملكم اليومى الرتيب ، ان عجلة الحياة لابد أن تدور!
جل لابد أن تدور !

ونعود الى بيكيت ويونسكو باعتبارهما صاحبى
لدور الطليعى فى هذه الحركة الجديدة ، لنقول انهما
ان جمعت بينهما ملامح عامة وسمات مشتركة ، او
اختصار ان اتفقا على الخطوط الاساسية لهذه الحركة ،
فان تطبيق هذه المبادىء ، أو بالاحرى نوعية التطبيق
نختلف من واحد لآخر تبعا لاختلاف الحدس الدرامى
لبسيط الذى يبدأ منه الكاتب ويعود اليه أبدا ..

فيونسكو انصبت ثورته على «العادات اللغوية»
وصفها موصلا جيدا من مواصلات التفاهم بين الناس ،
و بالأصح موصل ردىء لتحقيق هذا التفاهم ، ذلك لان
- يونسكو استطاع أن يكتشف حقيقة على جانب كبير
ن الخطورة والاهمية ، هى أن اللغة التى نظن اننا
تواصل بها ونتفاهم ، قاصرة عن تحقيق أى نوع من أنواع
التواصل أو التفاهم ، بل كثيرا ماتؤدى بنا الى أن نتقاطع
ولانتفاهم ، حتى ليشعر الفرد احيانا وكأنه فى عزلة عن
مجتمعه ، بعد أن انقطعت وسائل الاتصال بينه وبين
الآخرين ، تماما كما كان العجوزان بطلا مسرحية
«الكراسى» يعيشان فى قلعة مهجورة بجزيرة نائية ، لانهما

لايعرفان كيف يتصلان بأفراد المجتمع .. فاللغة عقبة فى طريقهما ، كراسى فى عرض الطريق (ولقد تكلم يونسكو كثيرا وعديدا عن موقفه من هذا المسرح الجديد ، سواء فى محاضراته أو مقالاته أو تحقيقاته الصحفية ، ومن خلال كلامه كشف عن مدى كراهيته للمسرح العقائدى أو مسرح الايديولوجيا ، وربما كانت مسرحيته «عابر الهواء» أبلغ أعماله فى التعبير عن هذا الموقف . فهو يقدم لنا شخصية مؤلف توقف عن الكتابة ، لانه لم يعد يجد سببا يدعوه الى الكلام ، ويجيب هذا المؤلف على الاسئلة الموجهة اليه فى تحقيق صحفي ، لعله أن يكون من أهم التحقيقات الصحفية التى أجاب عليها يونسكو نفسه، فيقول ان هناك قوة باطنية غامضة كانت تدعوه فيما مضى الى الكتابة ، على الرغم من النزعة العدمية المسيطرة عليه حتى الاعماق ، غير انه قد أصبح عاجزا تمام العجز عن مواصلة الكتابة : «لقد ظللت سنوات طويلة أعزى نفسى بعض العزاء بأنه لايوجد شيء يمكن أن يقال . أما الآن فقد اقتنعت بهذا الرأى كل الاقتناع » .

والواقع أن يونسكو بهذه الكلمات انما يعبر عن رأيه أصدق وأروع تعبير ، فقد ظل يؤكد ويؤكد أن مسرحياته لاتحمل أى معني أو أية رسالة ، وطالما سخر من بريخت واصفا اياه بأنه «ساعى بريد» يحمل رسائل الى الناس ، أما هو فليس لديه مايقوله لهذا العالم !

أما بيكيت فقد اتجهت ثورته أكثر ما اتجهت الى «عادات السلوك» ، فالانسان يقف وحده وفى ذات الوقت يحاول أن يكون مع غيره ، ولكنه عندما يجد هذا الغير يصبح الاتصال مستحيلا ، فاذا أصبح الاتصال ممكنا ، فان هذا الغير يكون مشغولا عنه ، مشغولا عنه بنفسه أو بغيره أو بأشياء أخرى ، والنتيجة دائما أن الانسان يظل وحده فى مواجهة نفسه وغيره والكون كله ، وأخيرا لايجد قيمة لشيء ... لا لنفسه ولا لغيره ولا للكون كله .

وهنا نجد أن بيكيت يعارض الشاعر الانجليزى الكبير كولريدج فى عبارته الشهيرة «لايمكن أن يوجد «أنا» بدون «أنت» ولايصبح الانت ممكنا الا بفضل معادلة يكون فيها الانا مساويا « للأنت » ومع ذلك مختلفا معه » .

فعادات السلوك .. باعتبارها أدوات عازلة تحول دون الاتصال اللمسى بالاشياء ، وتقطع على الذات كل سبل الاتجاه المباشر نحو الموضوع ، وباعتبارها أيضا أدوات خادعة توهم «الواحد» بأنه متفاهم مع الآخرين ، والحقيقة أن بين الاثنين سدودا عالية ومسافات طويلة ، تماما كتلك التى كانت بين «كلوف» و «هام» فى مسرحية «لعبة النهاية» وبين «فلاديمير» و «استراجون» فى مسرحية «فى انتظار جودو» وبين «وينى» و «ويللى» فى مسرحية «الايام السعيدة» التى نحن بصدد الحديث عنها الآن .

فهنا شخصيات مسخت بينها الصلاة الاجتماعية، فأصبحت المشاعر مغلقة على نفسها ، والعواطف مسجونة فى قفصها الصدرى ، وماتصدره هذه الشخصيات من كلمات أشبه بتأوهات الجرحى ، أو استغاثات الغرقى ، لقد نسيت هذه الشخصيات كيف تتكلم ، لانها نسيت كيف تفكر ، ونسيت كيف تفكر لانها لم تعد تعرف الشعور والعواطف ، وعلى ذلك نسيت كيف توجد ، بل وكيف تتواجد ، لقد غدت مخلوقات ممسوخة ، قابلة للتبادل بعضها مع البعض الآخر ، فهى تتحرك فى فراغ مملوء بالشعارات الجوفاء والعبارات المكرورة ، وهى تتصرف بحيث تجرى على السنتها الالفاظ هامدة بلا حياة ، وهذا التحرك بلا تقدم ، وهذا التصرف بلا اتجاه يقودنا الى عالم الصمت المعنوى للفراغ الفسيح، فهنا الصوت كالصمت كلاهما يقودنا الى عالم فقد جهاته الاربع ، فضاع الطريق تحت اقدام الانسان !

لقد تجاوزت اللغة فى مسرح العبث ، حدودها التقليدية ، وراحت تلعب هى نفسها دورا فى المسرحية . دورا تصير به ذات أهمية لاتقل عن الحدث نفسه فى تجسيم الموقف ، ولاتقتصر على مجرد الوساطة اللغوية فى التراسل بين الشخصيات ، بل يصبح الأشخاص مجرد حاملين للغة تشف عن الآلية والعبث ، وتكشف عن انعزال الفرد فى مجتمع ضحلت فيه المعالم الانسانية ، فانطوى الوعى الفردى على نفسه ، وقامت اللغة سدا عاليا يحول دون تراسل صنوف الوعى ، ودروب الادراك .

واذا كان هـذا الاتجاه العبثى ، بهـذا التوظيف الجديد للغة ، قد رفع من قدر وظيفتها الدرامية ، الا انه فى ذات الوقت ، قضى على معناها الاجتماعى ، وهـذا هو معنى تسمية هذا الاتجاه بأنه النزعة المسرحية المضـادة للمسرح ، أو بالنزعة اللامسرحية ! بل نستطيع أن نقول انه اذا كان الفكر الانسانى قد مر بثلاث مراحل رئيسـية، هى : اعرف الطبيعة .. اعرف نفسك .. اعرف غيرك، وكانت المرحلة الاولى تنتهى عند سقراط حيث كان حكماء اليونان يهتمون بدراسة العالم الطبيعى ، ثم بدات المرحلة الثانية مع سقراط الذى انزل الفلسفة من السـماء الى الارض ، بمعنى انه وجـه اهتمام المفكرين الى معـرفة الذات او معرفة الانسان لنفسه ، ثم جـاء الفيلسوف الالمانى هوسرل ومن بعده الفينومينولوجيين والوجوديين فوجهوا التفكير نحو معرفة الآخرين ، فهاهو صموئيل بيكيت الفيلسوف الدرامى الكبير الحائز على جائزة نوبل للاداب ، يطرح موضوع «معرفة الآخر» طرحا جـديدا بحيث يثير حوله العديد من الاسئلة :

هل معرفتى لنفسى سابقة على معرفتى لغيرى ، او الامر على عكس ذلك ، ام ان المعرفتين متعاصرتان ؟

هل ادراكى للآخر ادراك مباشر ؟ وهل معرفتى له تبزغ من الداخل أم هى مفروضة من الخارج ؟

ماهى انواع الادوات التى يقـوم بها كل من الأنا والآخر ؟

وعند صمويل بيكيت انــه اذا كان تكوين المجتمع يتطلب على الاقل وجود اثنين ، فان الاجابة على الاسئلة السابقة قــد تضيء الطريق الى معــرفة طبيعة المجتمع البشرى ، وانمــاط العـــلاقات الاجتماعيــة فى المجتمع المعاصر ، ســواء فى أشكالها الســوية أو فى أوضـــاعها الشـاذة ، فهو يقول :

« لاتهتم التراجيديا بالعـــدالة الانسـانية ، انمــا التراجيديا قصة تكفير ، ولكنه ليس التكفير الرخيص عن مخالفة قانون محلى وضعه الخــدم المأمورون من أجــل الحمقى المجانين ، فالصورة التراجيدية تمثل التكفير عن الخطيئة الاصلية والابدية للشـــخص ، ولكل شركائه فى الشر ، خطيئة مولده على الارض» .

وهذا معناه أن الصورة التى يعرضها علينا بيكيت صورة ميتافيزيقية ، وأن العــلاقات الاجتماعية فيهــا ليست سوى مظهر من مظاهر القلق الميتافيزيقى للانسان، انه مخلوق يدفع ثمن خطيئة لم يرتكبها أو لم يدرك انه قد أرتكبها بعد ، و «جودو» لايأتى فى الموعد المضروب ، او لعله غير موجود أصلا ، وبذلك يترك الانسان فى عالم لامعنى له ، وعليه أن يجد لهــذا العـــالم معنى .. اى معنى !

ولذا فان لحظات الصحو الانسانى لاتكشف للانسان شيئا ، ولاتعود عليه بغير الالم والمعاناة ، لذا نراه يميل

الى الاغراق فى عادات قد تكون مملة ، ولكنها على الاقل نوع من «الخفوت العظيم» !

ان استراجون فى مسرحية «فى انتظار جودو» يهيب بفلاديمير :

«قل انك مسرور ، حتى ولو لم يكن ذلك صحيحا»

استراجون : اننى مسرور

فلاديمير : وانا كذلك

استراجون : وانا كذلك

فلاديمير : اننا مسروران

استراجون : اننا مسروران «سكون» ماذا تفعل الآن ونحن مسروران ؟

وبعد لحظات قليلة اذ ينضب معين الكلام ، يقترح جوجو قائلا : «فى هذه الأثناء دعنا نحاول أن نتحدث بهدوء دون أن يجرفنا الحماس ، مادمنا عاجزين عن أن نظل ساكتين » .

فلاديمير : انت على حق ، فحديثنا لاينضب

استراجون : وهكذا لن نفكر

ويتلو ذلك حوار من الشعر الرفيع ، يصفان فيه أصوات الماضى الميتة التى تصدر حفيفا كأوراق الشجر ، وكالريش والرماد ، حتى أصوات الماضى هذه مضطرة الى أن تتحدث عن حياتها :

فلاديمير : ليس بكاف لها أنها قد عاشت
استراجون : عليها أن تتحدث عن تلك الحياة .

وصمويل بيكيت اذ تصدر عنه مثل هـذه النظرة المتشائمة . يضطر الى احداث نوع من رد الفعل السريع لهذه النظرة البالغة السواد العميقة التشاؤم ، مبعثها أنه كاتب هزلى عظيم الاصالة ، تقـول «نل» فى مسرحيـة «لعبة النهاية» : «لاشيء أبعث على الضحك من الشقاء». ثم تضيف : «نعم .. نعم انه أشد مافى العالم هزلا» ويكاد بيكيت يقنعنا بن «نل» على صواب ، لان فرحهـا مبنى دائما على بؤس الانسان .

وفى بداية « لعبة النهاية » عندما يقول « هام » «لايوجد احد آخـر» ويصرخ كلوف «لايوجـد أى مكان آخر» فان الموقف يصبح قابضا للنفس جاثمـا فـوق الصدر ، ولكننا حينما نكتشف بعد لحظات قليلة انه لم تعد توجد اطارات للدراجات ولا عصيدة ولاطبيعة ، فان الموقف يصبح على الفور أشـد اثارة للرعب والفكاهة معا !

وهكذا نرى أن نظرة بيكيت للحياة ، هى فى جوهرها نظرة ميتافيزيقية ، إنها نظرة الانسان الذى يبحث عن معنى وراء أحداث الحياة العابرة المتبذلة ، وعن غـرض أبعد من قضاء الحاجات الطبيعية لزمان معين أو مكان بالذات ، وهو مايتجلى فى الم الوقوف على العبث ، ثم فى الصراع من اجل ايجاد معنى للحياة .

وتاسيسا على هذا كله ، نعود الى مسرحية « الأيام السعيدة » · لنجد أنه في هذه المسرحية كما يقول بيكيت: « .. لاشيء يحدث .. لاشيء يحـدث على الاطـلاق : لا احداث تقع ، ولاشخصيات تتصارع ، ولاعقدة توضع ثم تنفرج ، ولاهدف واضح او لحظة تنوير ، واخيرا لا بداية ولا وسط ولا نهاية . لأنه اذا انعدم المكان وضاع الزمن ، أصبح كل شيء داخلا فى كل شيء ، واصبحنا نحن المتفرجين فى منطقة انعدام الوزن الدرامى » .

فالمسرحية مسرحية جو ومناخ · والجو لا يفهم ولكنه يعاش ، والمناخ لايعقل ولكننا نتأقلم فيه ، انها أشـبه بلوحة من لوحات بيكاسو ·· لا تحاول أن تفهمها ·· أما ان تحبها أو تكرهها ، فليس هنـا حوادث كمـا قلنا ولا شخصيات ولا عقدة ولا شيء من هذا كله ·· كل ما هنا انغام عامة ·· وألوان عامة ·· وخطوط عامة ، ومن هذه الصفات العامة يرسـم المتفرج فى ذهنـه خـريطة ما للمسرحية !

ذلك لأن بيكيت يرفض كـل هـذه المعطيات التى يتألف منها المجال الدرامى القديم ، ويستبدلها بمعطيات اخرى جديدة ، نراها بوضـوح صـارخ فى الصياغة المسرحية التى بلغت حدا كبيرا من الروعة والبراعـة سويا .. حيث الأداء الصامت احيـانا ، والتصـوير الصوتى احيانا اخرى ، والسكنات والحـركات الدالة احيانا ثالثة ، ثم الحوار المفعم بالطاقة الشاعرية ، واخيرا

المواقف الكوميدية المؤسية التى تعتمد اساسا على التناقض الجذرى العميق فى كل ابعاد المجال الانسانى .. اعنى على ملكة التهكم والسخرية .. تلك التى تدرك أوجه الشبه بين المختلفات واوجه الخلاف بين المتشابهات ، أو تلك التى تلتقط أوجه المفارقة بين الواجب والحاصل ، بين الظاهر والباطن ، بين الصحيح والزائف ، أو باختصار بين ماهو كائن ومايتبغى أن يكون !

ومن هنا لم تكن السخرية عند بيكيت نوعا من الفكاهة الفقاعية المسطحة ، التى تعتمد على التلاعب الرخيص بالألفاظ ، بل هى شىء يرتبط بالحاسة الخلقية أو بالاحساس بالواجب ، فلئن بدا بيكيت متشائما فى بعض الأحيان ، فليس هو التشاؤم الذى ذهب اليه شوبنهور بدافع اليأس والقنوط والفرار من الحياة ، وانما هو من قبيل التشاؤم الذى ذهب اليه توماس هاردى بدافع الأسف الحزين على الانسانية .. الانسانية التى يمكن لمستقبلها أن يكون أسعد من ماضيها اذا نحن أردنا ذلك وحاولناه !

ومن هنا أيضا كان بيكيت سلالة ايرلندية أصيلة تحمل جراثيم الذكاء واللماحية والغوص الى الأعماق ، تلك التى رأيناها تجرى فى دماء « أوسكار وايلد » و « برناردشو » و « سين أوكيزى » فضلا عن الكاتب العظيم « جيمس جويس » !

ومن هنا أخيرا كانت هذه المسرحية من بين مسرحيات بيكيت نوعا من الملهاة المؤسية ، تراجيكوميديا . حيث الملهاة في جوف المأساة ، أو الملهاة التي تتزيا بالأسى وتنز بالتوجع لتواجهنا بتراجيديا الوجود البشرى ، والمصير الانساني . وهذا ما سماه بعض فلاسفة الوجودية المعاصرة بالسرور المتألم أو الألم السار . والسعادة الآسفة أو الاسف السعيد .. فالسعادة فى مسرحية « الأيام السعيدة » هى سهد الذكرى وأرق الانتظار !

واذا كنا فى دراما بيكيت قد فقدنا العقدة وفقدنا الشخصيات ، لأن الأحداث قد تلاشت والفروق بين الشخصيات قد انعدمت ، وأصبحنا أمام واقع التحم فيه الشكل بالمضمون حتى لم يعد يبق فوق سطح هذا الواقع غير مواقف انسانية جامدة قوامها الانفعال وردود الافعال ، فان دراما بيكيت لها مفاتيح أخرى نجدها فى التنبيهات المسرحية التى نص عليها فى الديكور وفى الاضاءة ، فهو يرفض كل مالا يجيء خادما للنص ، وكل ما ليس عنصرا داخلا فى صميم « العرض » ولا أقول « الحدث » الدرامى . فالشجرة الجرداء فى عرض الطريق المقفر ، توحى لنا فى مسرحية «جودو» بفكرة الاجداب التى ترادف عقم الحياة وعذاب الانسان ، وظل الصليب الملقى على الأرض فى « لعبة النهاية » يواجهنا بفكرة الكفاءة وانتظار الخلاص .. وهو خلاص فيه الظل ولا شيء فيه من الحقيقة ، وربوة الرمل المغطاة بالعشب المنزوع ، والتى تدفن فيها «وينى»

فى « الأيام السعيدة » تذكرنا بفكرة الدفن ، والرجوع الى رحم الحياة أو الأرض الأم !

والأيام السعيدة . وهى أحدث مسرحيات بيكيت ، تقع فى فصلين ، ويقوم بالتمثيل فيها شخصيتان ، أما الفصلان فالمنظر فيهما واحد لا يتغير ، وليس هناك فارق بين المنظرين سوى أن « وينى » ترى فى المنظر الأول مدفونة الى ما يفوق خصرها فى وسط الربوة ، وترى فى المنظر الثانى مدفونة الى رقبتها . وينص بيكيت على ضرورة تجانس وهج الشمس مع الوهج الذى يظهر على النصف الأعلى لوينى . حتى يبدو الوهجان وكأنهما وهج واحد ، وحتى يتلاشى هذا الوهج الواحد فى الفصل الثانى ، وكلما تلاشى الوهج زحف الرمل ، فكل لحظة تمر تضيف حبة رمل جديدة الى الربوة التى دفنت فيها وينى .. ان الحياة تخبو والموت يزحف !

أما الشخصيتان الوحيدتان فى المسرحية فهما « وينى » امرأة فى حوالى الخمسين ، و « ويللى » رجل فى حوالى الستين !

ويلاحظ أن كلمة « وينى » بالانجليزية تفيد معنى الفوز أو الحصول على شىء ، كما أن كلمة «ويللى» تعنى العزيمة أو الارادة !

عجوزان قعيدان كل بطريقته الخاصة .. المرأة دفينة ربوة من الرمل ، والرجل حبيس جحر من القش ،

والمـــرأة لا تتحرك أبدا وانما تتكلم اى كـلام ، والرجل قليلا ما يتكلم وكثيرا ما يتحرك ، وتحركه من الحجر الى سفح الربوة وعلى أطرافه الأربعـة ، انهما معا ينتظران شـيئا .. ينتظران الخـلاص ، ولكنـه الانتظار الذى لا ينتهى ، والخلاص الذى لا يجىء ابدا !

هاتان الشخصيتان ليستا غريبتين علينا ، فقـد رأيناهما من قبل .. انهما « بوزو » وعبده « لكى » فى مسرحية « في انتظـــار جودو » وهمـــا « هام » وخادمه « كلوف » فى مسرحية « لعبة النهاية » .. وهما رمزان لشيئين .. هما بالاصطلاح الطبقى السـيد والعبـد ، وبالاصطلاح السيكولوجى الأنا والهو ، وبالاصطلاح الفلسفى العقل والمادة ، وبالمعنى الدينى أو الصوفى الجسد والروح فهما لا ينفصلان عن بعضهما رغم المحاولات المريرة التى يبذلها احدهما لينفصل عن الآخر ، وهما باختلافهمـــا وتباينهما وجهان لحقيقة واحدة .. قد تكون المجتمع ، وقد تكون الحياة ، وقد تكون الانسان !

وتبـدأ المسرحيـة بسماع صلصلة جرس حاد ، بعدها تستيقظ «وينى» لتبدأ يوما جديدا، « يوم الهى آخر » وهى تستيقظ على صلصلة الجرس لا على دقات السـاعة ، لأنه ليس فى حياتهـا زمن ، أو لأن الجرس يحصى الزمن دون أن يشير اليه !

وبعدما تستيقظ « وينى » تأخذ فى الحديث مدفونة هكذا وسط الربوة ، وخلف الربوة نلمح زوجها « ويلى »

ولكننا لا نرى ســوى ذراعيه تتصفحان الجريدة ، ولا نسمعه الا كل حين وآخر يقول كلمة أو على الأكثر كلمتين، ومن حديث « وينى » نعلم أن هذا اليوم ما هو الا يوم آخر من أيام حياتها ، يوم ليس أسوأ ولا أفضل ، لأنه ليس فى حياتها أى تغيير · فهى تقول : « ليس هنـاك طعم ·· لأى شيء ، ولا جـــدوى ·· فى الحياة !! · ولأنه كتب عليها أن تحيا هذه الحياة نراها تســتعين عليهــا بالثرثرة ، والكلام المليء احيانا والفارغ فى أغلب الأحيان، فهى تقول : « انه ليوم شاق ·· لا يضيف شيئا أو بعض الشيء الى معلومات الانسان مهما كانت تافهة ، أقصــد الاضافة فانها تهيىء الانسان لتلقى الآلام ··

وفيم تحدثنا وينى ؟

تحدثنا عن أشياء كثيرة ، أغلبها تافه وبعضها جاد ·· فهى تحدثنا عن حقيبتها وقبعتها ، وعن الأدوية والطعام، عن الشمسية ومعجون الأسنان ، ولكنها من خلال هــذا كله تحدثنا عن الحب والحياة ، عن الذكرى والسعادة ، عن الأيام التى ذهبت والأيام التى تجيء · ونحن نعلم من حديثها أنها تنتظر شيئا سوف يتم أو لابد أن يتم ، لأن الكثير من سعادتها يتوقف على هذا الشيء : « لا ، ان شيئا ما لابد ان يتم فى العالم ، يشغل حيزا من الفراغ · ويحدث نوعا من التغيير » .

ونعلم من حديثها أيضا انها فى بحث دائم عن الزمن الضائع ، لأن أيامها تمر سريعا مر الكرام ، وهى تريد أن

تعمل شيئا يبقى وسط هذا السيلان الدافق من الساعات والأيام : « آه ، طيب ، ما قلناه أقل من ان يقال ، وما عملناه أقل من أن يعمل ، ومع هذا فالخـوف عظيم ، عظيم الى أقصى حد ، فهناك أيام بعينها يجد الانسان نفسه فيها مهجورا مهملا ، ولا تزال الساعات تجرى قبل أن يدق جرس النوم ، ولا شيء يقال أكثر مما قلناه ، ولاشيء يعمل أكثر مما عملناه ، ذلك لأن الأيام تمر مر الكرام ، أيام بعينها تمر مر الكرام ، تمر تماما مر الكرام ، ويدق الجرس ، ولما نقل شيئا أو قليل هو ما قلناه ، ولما نعمل شيئا أو قليل هو ما عملناه » .

وعند « ويني » أن هذا هو مصدر الخطر ، ومايجعلها تحتاط لهذا الخطر ، لذلك نراها تتعلق بحقيبتها التى تحتوى على بعض الاشياء التافهة ، فهذه الحقيبة هى ضريح الآمال والذكريات كلها ، والثبات الظاهرى لما فيها من اشـــياء هو الذى يدخل الطمأنينة الى نفس وينى» ، صحيح انها طمأنينة زائفة ، ولكنها طمأنينة على كل حال ، طالما أنهـا تنتظر اللحظة المحتومة ، اللحظة التى ينتظرها كل انسان عندما يغطيه الرمل ويواريه التراب : « آه أيها التراب .. يا آلة الاطفاء العتيقة » . أن «وينى» تعرف مصيرها المحتوم ، ولكنها لا تقوى على شيء ازاء هذا المصير ، أو هذا الموت الذى يزحف نحوها ببطء ولكن بثبات ، لهـــذا نراها تنغمس فى أشياء الحياة العادية تلهو بهـا وتعبث ، ونسمعها تقول أى كلام تطمئن به نفســها أو تخدع به

نفسها ، وكأنها لا تعي مايحدث أو أن مايحدث لا يعنيها .. الزمن يترك بصمات أصابعه على نظرها وأسنانها وذاكرتها . وهج النور يخبو وتراب الأرض يزحف .. لا شيء دائم ، لا شيء ثابت ، كل شيء يتغير ، وكل شيء الى زوال .

وبهذا الايقاع السيمفوني الحزين ينتهي الفصل الأول وهو أطول الفصلين ،انه عبارة عن مونولوج طويل مروع ، بجماله ومأساته معا ، يبدأ لينتهي متقطعا ،قصير العبارات ، فجائي الانتقال من موضوع الى موضوع آخر ، لأن الكاتب يعمل الى استثارة الذكرى واستنزاف ما في طبقات الوعي السفلى . والقصة فيه لا تنمو بمقدار ما تدور على نفسها أو تتحرك في خطوط متوازية ، ومن بدئه حتى الختام نسمع بين كل حين وآخر ، صوت « ويللي » المسكين كأنه نواح على الحياة وهي تذوي . وكأنه الصوت الذي يتناهى الى الأسماع من وراء القبر !

ويرفع ستار الفصل الثاني عن «ويني» مدفونة الى رقبتها ، قبعتها فوق رأسها ، وعيناها مغمضتان ، أما رأسها الذي لم يعد في امكانها أن تديره ، والذي لا هو بالمحني ولا هو بالمرفوع ، فيرى شاخصا الى الأمام دون أن يبدي حراكا، وأما حركات عينيها فهي وحدها التي تنقل التعبير . ورغم هذا كله ، نسمعها تبدأ كلامها عندما يدق الجرس بقولها : « سلاما أيها النور المقدس » . وكأنما تريد ان تقول ان الحياة تستحق أن تعاش حتى ولو كان

الانسان مدفونا الى رقبته ، لأنه ان فقد القدرة على التعبير بالحركة فهو قادر على التعبير بالنظرة ، وحتى ان فقد هذه الأخيرة ، فهو قادر على التعبير بالكلمة .. الكلمة التى كانت فى البدء ، والتى ينبغى أن تكون فى الختام !

وهكذا نسمع « وينى » تتحدث وتثرثر وتقول أى كلام ، تلوك فيه الذكريات ، وتجتر فيه أيامها السعيدة ، ولكننا نستطيع أن نستمع خلف ثرثرتها الى كلام له معنى وفيه دلالة ، كلام لا تقوله « وينى » ولا نسمعه على لسانها ولا نراه فى حركات عينيها ، وانما يدركه الانسان فى أعماق ذاته بطريقة مباشرة ، وكأنه ينبع من داخله بدلا من أن يتلقاه من الخارج .. وكأنه قد أصبح فى مكان « وينى » .. ينتظر الموت !

وقرب نهاية هذا الفصل الأخير يظهر «ويللى» مرتديا كامل ملابسه ، زاحفا على اطرافه الأربعة ، محاولا أن يتسلق الربوة ليلمس وجه « وينى » فتقول له وفى صوتها تهدج : « كان ذلك منذ وقت مضى ، عندما كنت قادرة على أن اعطيك يدى » . وهنا يسقط « ويللى » بقوة ويرتمى على الأرض ، ويقول « وين » .. قالها بصوت متحشرج وبعدها سكت عن الكلام . وترد عليه « وينى » وفى صوتها فرحة : « وين ! ان هذا اليوم يوم سعيد ، سيكون هذا اليوم يوما سعيد هو الآخر» .

ثم تبـدأ وينى فى ترديد أغنيتها التى كانت تتهيأ لها من أول المسرحية ، وكأنما تغلبت قوة العاطفـة على الموت ذاته . فجاءت أغنية « وينى » رمزا حيا لانتصـار الانسـان ! نعم ٠٠ فالكائن البشرى يختلف عن الكائن الحشرى اختلافا جوهريا ، « وينى » تختلف عن النملة التى شاهدتها تجرى أمامها على خشـبة المسرح ٠٠ لأن النملة تموت دون أن تدرى من أمرها شيئا، أما الانسان ٠٠ فانه يموت ويعلم أنه يموت ، بل يموت ويقدر على أن يتصور الموت ، بل يقدر حتى على أن يحياه !

فالانسان هو أشرف ما فى الكون ، ولكن الذى ينير حقيقته ليس هو الكون ، لأن الكون أبكم أعمى لا ينطق ولا يبين ولا يدرى من أمره شيئا ، وانما يجد الانسـان فى داخل نفسه ما يضىء له حقيقة نفسه ، وتلك هى خلاصة فلسفة بيكيت التى يدين بها لامام الوجودية المسيحية « بسكال » فعند الأخير أن الانسان وان يكن نبتا ضعيفا الا أنه نبت مفكر ، وأن الكون ان أهلك الانسـان ، فان الانسان يكون أشرف ممن يهلكه ، لأن الانسـان يعلم أنه يموت ، أما الكون فانه لا يدرى ماذا يفعل !

وهكذا يبرز وراء مسرحية « الأيام السعيدة » سؤال كبير يتعلق بأصل الانسان ومصيره ، وهو السؤال الذى تحاول « وينى » الاجابة عليه لا بطريقـة عقليـة ، بل بطريقـة لا عقليـة ، بالرجوع رمزا الى رحم الأم ، لأن دفنها بأعمق معانيه يمثل رجوعا حقيقيا الى ظلمة الرحم

•• تماما كما كان اختفاء «أوديب» النهائى فى قاع صخرة فى العالم السفلى، يمثل تعبيرا عن نفس الرغبة المتجهة الى داخل الرحم •• الى الأرض الأم !

ولا تنتهى المسرحية باسدال الستار ، ذلك لأن « وينى » عندما تنهض من تحت الربوة لترد على تحية الجمهور ، انما تؤكد فكرة العود الأبدى التى قال بها الفيلسوف الألمانى نيتشه ، أو فكرة البعث الذى تنتصر به على الموت ، وتعود به الى الحياة •• فالحب أقوى من الموت. وأقوى من الاثنين •• الانسان !

الأيام السعيدة

هذه هى الترجمة الكاملة لمسرحية

HAPPY DAYS

للكاتب الايرلندى المعاصر :

Samuel Beckett

شخصيات المسرحية

- وينى : امرأة فى حوالى الخمسين من عمرها .
- ويلى : رجل فى حوالى الستين من عمره .

● الفصل الأول

بساط من العشب المبتور ينمو فى وســط ربوة قليلة الارتفاع ، ومنـحدرات دقيقة تتهـادى الى الأمام ، وعلى كلا جانبى المسرح ، وفى الخلف مسقط وعر ينحدر حتى مستوى خشبة المسرح ، المنظر يجمع بين منتهى البساطة ومنتهى التناسق ·

ضوء متوهج ·

وعلى الســتار الخلفى للمسرح ، يمتد ضوء على مدى البصر ، يمثل سهلا منبسطا ، وسماء تترامى لتلتقى به على امتداد المسافة ·

ترى « وينى » مدفونة الى ما فوق خصرها فى وسط الربوة تماما ، وهى فى حوالى الخمسين من عمرها ، محافظة على نفسها خير محافظة ، واميل الى ان تكون شقراء ، وهى بدينة ، عارية الذراعين والكتفين ، ترتدى صدرة قصيرة فوق صــدر ضــخم كبير ، وتضع حول عنقها عقدا من اللؤلؤ · ترى وهى نائمة ، وذراعاها ممددتان امامها على الأرض ، وراسها مدلى فوق ذراعيها ، والى جوارها على

الأرض من ناحية اليسار حقيبة سوداء واسعة من النوع الذى يستخدم فى شراء مختلف الحاجيات ، وعلى يمينها شمسية مطوية ملقاه ، يبزغ من غمدها طرف المقبض .

ويلى يرقد نائما على الأرض الى يمينها ناحية الخلف ، وقد اخفته الربوة .

تسود فترة صمت طويلة ، يرن جرس بصوت نافذ حوالى عشر ثوان ثم يتوقف . لا تتحرك ، تسود فترة صمت ، يرن الجرس بصوت اكثر نفاذا حوالى خمس ثوان ، تستيقظ ، يتوقف الجرس عن الرنين ، ترفع راسها ، وترنو بيصرها الى الأمام ، تسود فترة صمت طويلة ، تعتدل ، وتبسط ذراعيها على الأرض ، وتلقى براسها الى الخلف ، وتحدق فى السمت . تسود فترة صمت طويلة .

ويني : (وهى تحدق ببصرها فى السمت) يوم الهى آخر . (صمت . رأسها بمحاذاة الظهر ، عيناها الى الأمام ، صمت . تضم يديها أمام صدرها ، وتغمض عينيها . تحرك شفتيها فى صلاة هامسة لا تكاد تسمع ، قل لمدة عشر ثوان . تكف الشفاة . وتبقى اليدان مضمومتين ، وبصوت خفيض) من أجل يسوع المسيح .. آمين . (تفتح عينيها ، وتفرج يديها ، وتعود الى الربوة ، وتسود فترة صمت . مرة ثانية تضم يديها أمام صدرها ،

وتغمض عينيها ، وتحرك شفتيها مرة أخرى فى صلاة اضافية لا تكاد تسمع · قل لمدة خمس ثوان ، وبصوت خفيض) عالم بلا نهاية ·· آمين · (تفتح عينيها ، وتفرج يديها ، وتعود الى الربوة ، وتسود فترة صمت) ابدئى يا وينى · (صمت) ابدئى يومك يا وينى · (لحظة صمت ، بعدها تتجه نحو الحقيبة ، تقلب فى داخلها دون أن تحركهـــا من مكانها ، وتخرج منها فرشاة الأسنان · تقلب ثانية، وتخرج أنبوبة مسطحة من معجون الأسنان ، تعـود فتتجه الى الأمام ، وتفتح غطاء الأنبوبة ، وتضـع الغطاء على الأرض ، وتبرز بصعوبة كمية صغيرة من المعجون على الفرشاة · تمسك الانبـوبة باحدى يديها ، وتنظف أسنانها باليد الأخرى · تتلفت بحياء الى جانبها ، ثم على يمينها الى الوراء لتبصق خلف الربوة ، وبينما هى فى هذا الوضع ، تقع عيناها على « ويلى » ·· تبصق ، وتتمطى قليلا الى الخلف ، والى أسفل ، وبصوت عال) هـــ ··· ـوه ! أوه ! (لحظة صمت ، وبصوت أعلى) هـــ ···· ـوه ، أوه ! (لحظة صمت ، تبتسم ابتسامة رقيقة ، وهى تعود لتتجه الى الأمام ، ولتضع الفرشاة على الأرض) مسكين يا ويلى ·· (تتفحص الأنبوبة ، وتكف عن الابتسام) ـ انها تفرغ ـ (تبحث عن الغطاء) ـ آه ، لا بأس ـ (تجد الغطاء) ـ لا يمكن تجنب هذا ـ

(تقفل الغطاء) ــ مجرد واحدة من تلك الأشــياء القديمة ــ (تضع الأنبوبة على الأرض) ــ شيء آخر من تلك الأشياء القديمة ــ (تتجه نحو الحقيبة) ــ حقا ، لا يمكن أن يشـــفى ــ (تقلب فى داخل الحقيبة) ــ لا يمكن أن يشــفى ــ (تخرج مرآة صـغيرة وتعـــود فتتجه الى الأمام) آه ، طيب ــ (تعاين أسنانها فى المرآة) ــ مســكين يا عزيزى ويللى ــ (تفحص أسنانها الأمامية العليا بأصبع الابهام ، وبغير وضــوح) ــ يا مولاى الكريم ــ ؟ تســحب شــفتيها العليــا لتعــاين اللثــة ، وتســتطرد فتقـول) ــ يا مولاى الــكريم ــ ! (تجذب جانب فمها ، وقد فتحته) ــ آه ، طيب ــ (تكرر نفس الشيء فى الجانب الآخر) ــ ليس أسوأ ــ (تكف عن المعاينة ، وتتكلم بطريقة طبيعية) ــ ليس أفضل ، ولا أسوأ ــ (تضع المرآة على الأرض) ــ وليس هناك تغيير ــ (تمسح بأصابعهــــا على العشــــب) ــ ولا ألم ــ (تبحث عن فرشــــاة الأسنان) ــ لا يكاد يؤلمنى ــ (ترفع فرشاة الأسنان) ــ انه لشيء عظيم ــ (تتفحص مقبض الفرشاة) ــ ليس كمثله شيء ــ (تتفحص المقبض) ، وتقرأ) ــ نقى . . ماذا ؟ ــ (لحظة صمت) ــ ماذا ؟ ــ (تضع الفرشاة على الأرض) ــ آه ، طيب ــ (تتجه نحو الحقيبة) ــ مسكين يا ويللى ــ (تفتش فى الحقيبة)

ـ ليس هناك طعم ـ (تفتش) ـ لأى شىء ـ (تخرج النظارة وهى فى الكيس) ـ ولا جدوى ـ (تعود فتتجه الى الأمام) ـ فى الحياة ـ (تأخذ النظارة الكيس) ـ مسكين يا عزيزى ويللى ـ (تضع الكيس على الأرض) ـ ثم الى الأبد ـ (تفتح النظارة) ـ انها نعمة مدهشة ـ (تلبس النظارة) ـ لا يمسها شىء بسوء ـ (تبحث عن فرشاة الأسنان) ـ فى رأيى ـ (ترفع فرشاة الأسنان) وكثيرا ما قلت هذا ـ (تتفحص مقبض الفرشاة) ـ أتمنى لو كانت عندى ـ (تتفحص المقبض ، وتقرأ) ـ أصلى ·· نقى ·· ماذا ؟ ـ (تضع الفرشاة على الارض) ـ بعد ذلك يأتى العمى ـ (تخلع النظارة) ـ آه ، لا بأس ـ (تضع النظارة على الأرض) ـ رأيت بما فيه الكفاية ـ (تتحسس داخل الصورة باحثة عن المنديل) ـ أظن ـ (تخرج منديلا مطويا) ـ والآن ـ (تفض طيات المنديل) ـ ما هذه الأبيات العجيبة ـ (تمسح احدى عينيها) ـ الويل ، الويل لى ـ (تمسح الأخرى) ـ اذ أرى ما أرى ـ (تبحث عن النظارة) ـ آه ، طيب ـ (ترفع النظارة) ـ ما كنت لأفتقدها ـ (تبدأ فى تلميع النظارة ، فتتنفس على العدستين) ـ أو هل كنت أدعها تفوتنى ـ (تلمع عدسة) ـ أيها النور المقدس ـ (تلمع العدسة الأخرى) ـ الذى ينبلج

من الظلام ـ (تلمع) ـ يا وهج النور لجهنمى ـ (تتوقف عن التلميع ، وترفع وجهها الى السماء . وتسود فترة صمت . تميل برأسها للخلف بحيث تصبح أفقية ، وتواصــــل التلميع . تتوقف عن التلميع ، وتتمطى خلفها الى اليمين ، والى أسفل) ـ هـ .... ـوه ، أوه ـ ! (تسود لحظة صمت ، وتبتسم ابتسامة رقيقة ، وهى تعود فتتجه الى الأمام ، وتواصل التلميع ، تكف عن الابتسام) ـ نعمة مدهشة ـ (تتوقف عن التلميع ، وتضع النظارة على الأرض) ـ أتمنى لو كانت عندى ـ (تطوى المنديل) ـ آه ، لا بأس ـ (تعيد المنديل الى الصـــدرة) ـ لا أستطيع أن أشكو ـ (تبحث عن النظــارة) ـ لا ، لا ـ (ترفع النظارة) ـ ولا يصح أن أشكو ـ (تمسك النظارة الى أعلى ، وتنظر من خلال العدسة) ـ يجب على أن أكون شاكرة على نعم كثيرة ـ (تنظر من خلال العدســـــة الأخرى) ـ لا ألم ـ (تلبس النظارة) ـ لا يكاد يوجد ألم ـ (تبحث عن فرشاة الأسنان) ـ وانه لشىء عجيب ـ (ترفع فرشـــاة الأسنان) ـ ليس كمثله شىء ـ (تتفحص مقبض الفرشاة) ـ صـــداع خفيف فى بعض الأحيـان ـ (تتفحص المقبض ، وتقـــرأ) ـ مضـــمون .. أصـــلى .. نقى .. ماذا ؟ ـ (تنظر بامعـان) ـ أصـــلى نقى ـ (تأخـذ المنـديل من الصدرة) ـ

آه ، طيب ـ (تفض طيات المنديل) ـ صـــداع نصفى خفيف ، يحدث من حين لآخـر ـ (تبـــدأ فى مسح مقبض الفرشاة) ـ يجىء ـ (تمســح) ـ ويروح ـ (تمسح بطريقة آلية) ـ آه ، طيب ـ (تسمح) ـ رحمات كثيرة ـ رحمات واسعة ـ (تتـــوقف عن المســح ، وبنظرة شـــاخصة شـــاردة ، وكلمــات متقطعــة) ـ ربما لم تكن الصلوات ضـائعة ســدى ـ (تســود فترة صمت ، ثم تستطرد فتقـــول) ـ الشىء الأول ـ (تسود فترة صمت ، ثم تستطرد فتقول) ـ الشىء الآخير ـ (تخفى رأسها ، وتواصل المسح • تتوقف عن المسح ، وترفع رأسها ، تركن الى الهدوء ، ثم تمسح عينيها • تطوى المنديل ثم تعيـــده الى الصدرة ، تتفحص مقبض الفرشاة ، ثم تقرأ) ـ مضمون كل الضمان •• أصلى نقى •• ـ (تنظر بامعان) ـ أصلى نقى ـ (تخلع النظارة ، وتضعها هى والفرشـــاة على الأرض ، وترنو ببصرها الى الأمام) ـ أشياء بالية ـ (فترة صمت) ـ وعيون بالية ـ (فترة صمت طويلة) ـ استمرى يا وينى ـ (تجيل النظر فيمـــا حولها ، يقـــع بصرها على الشمسية فتتأملها باسهاب ، ترفعها ، ويبرز من غمدها مقبض يبعث طوله على الدهشة ، وبينمـا تقبض على طرف الشمسية بيدها اليمنى ، تتمطى

خلفها والى أسفل ناحية اليمين ، لتطل على ويلى) ــ
هــــ ... ــوه ، أوه ! ــ (صمت) ــ ويلى ! ــ
(صمت) ــ نعمة مدهشـــــــة ــ (تخزه بطرف
الشمسية) ــ أتمنى لو كانت عندى ــ (تخزه ثانية ،
فتنزلق الشمسية من مقبضها وتسقط وراء الربوة .
وسرعان ما تعيدها اليها يد ويلى التى لا ترى) ــ
أشكرك . يا عزيزى ــ (تنقل الشمسية الى يدهــا
اليسرى ، ثم تعود فتتجه الى الأمام . وتتفحص راحة
يدها اليمنى) ــ رطبة ــ (تعيـــــد الشمسية الى
يدها اليمنى ، وتتفحص راحة يدها اليسرى) ــ آه .
لا بأس ، ليست أسوأ ــ (ترفع رأسها . وبانشراح)
ــ ليست أفضل ، ولا أسوأ ، وليس هناك تغيير ــ
(تسود لحظة صمت ، ثم تستطرد فتقـــول) ــ
ولا ألم ــ (تتمطى خلفها لتطل على ويلى ، وهى
تمسك بالشمسية من طرفها كما كانت من قبل)
ــ أرجوك ياعزيزى ، لا تغب عنى الآن مرة ثانية ،
فربما احتجت اليك (صمت) لا تسرع ، لا تسرع .
كل ما هناك ألا تزوغ منى مرة ثانية . (تعود فتتجه
الى الأمام ، تضع الشمسية على الأرض ، وتتفحص
كلتا راحتيها ، ثم تمسح بهما على العشب) ــ على
كل حال ، ربما كانتا متسختين ــ تتجه نحو الحقيبة ،
تفتش فيها ، وتخرج منها مسدسا ، ترفعه الى أعلى ،
وتقلبه بسرعة ، ثم تعيده . تفتش ، وتخرج زجاجة

من الدواء الأحمر ، تكاد أن تكون فارغة . ثم تعـود فتتجه الى الأمام ، تبحث عن النظارة ، تلبسها . وتقرأ العلامة المميزة) ـ ضياع المعنويات . . فقدان الحماسة ·· نقصان الشهية ·· الأطفال ·· الأولاد البالغون . . المستويات الستة . . ملعقة كبيرة يوميا

ـ (ترفع رأسها ، وتبتسم) ـ الأسلوب القديم !

ـ (تكف عن الابتسام ، وتخفض رأسها . وتقرأ)

ـ يوميا ·· قبل الأكل وبعده ·· فى لمح البصر ··
(تنظر بامعان) ·· تحسن ·· (تخلع النظارة ، وتضعها على الأرض ، ترفع الزجاجة بطول ذراعها لترى منسوب الدواء ، تفتح الغطـــاء . وتجرع الزجاجة عن آخرها ، ورأسها ملقى الى الوراء ، تقذف بالغطاء والزجاجة فى اتجاه ويلى ، فيسمع صوت تكسير الزجاج) ـ آه ، هذا أفضل ! ـ (تتجه نحو الحقيبة ، تفتش فيها ، وتخرج منها اصبع الشفاه · تعود فتتجه نحو الأمام ، وتتفحص اصبع الشفاه) ـ انه يفرغ ـ (تبحث عن النظارة) ـ آه ، لا بأس ـ (تلبس النظارة ، وتبحث عن المرآة) ـ لا يصح أن أشكو ـ (ترفع المرآة ، وتبدأ فى طلاء الشفاه) ـ ما هذا البيت العجيب ؟ ـ (تطلى الشـــفاه) ـ أوه افـــراح زائلة ـ (تطلى الشـــفاه) ـ أوه ، شيء دائم الكرب ـ (تطلى شفتيها ، يقاطعها ما يصدر عن ويلى من تشويش ، يعتدل جالسا ،

أما هي فتخفض اصبع الشــفاه والمرآة ، وتتمطى الى الخلف والى أسفل لتنظر اليه • تســـود لحظة صمت • وتبدو من الخلف قمة رأس ويلى الصلعاء تنضح بالدم ، وهو يشب ليطل من فوق المنحدر ، ويستقر • تدفع وينى نظارتها ، وتسود لحظة صمت، تظهر يد ويلى وبها منديل ، ينشره فوق رأســه ، ثم يختفى ، وتسود لحظة صمت • تظهر اليد وبهــا قبعة على شكل قارب ، عليها شريط النادى ، يضعها فوق رأسه ، بزاوية مائلة ، ثم يختفى ، وتسود لحظة صمت • تتمطى وينى قليلا الى الخلف ، والى أسفل) ـ ارتد سراويلك يا عزيزتى قبل أن تشيط ! (صمت) ـ لا ـ ؟ (صمت) ـ أوه ، فهمت ، لا يزال عندك شيء باق من ذلك الدهان ـ (صمت) دلكله جيدا فى بشرتك يا عزيزى (صمت) والآن الذراع الأخرى ـ لحظة صمت ، تعود فتتجه الى الأمام ، وتحدق فيما أمامهــا ، ويغمرها تعبير من السعادة) ـ أوه ، سيكون هذا اليوم يوما ســعيدا هو الآخر ـ (تسود لحظة صمت ، ويختفى تعبير السعادة ، تشد النظارة الى أسفل ، وتواصل طــلاء الشفاه • يفتح ويلى الجريدة بحيث لا ترى يداه ، وتظهر سطوح صفحاتها على كلا جانبى رأسه ، تفرغ وينى من طلاء الشفاه وتعاينها فى المرآة التى تبعدها عنها قليلا) ـ الشارة القرمزية ـ (يقلب ويلى

الصحيفة وتضع وينى اصبع الشفاه والمرآة على الأرض وتتجه نحو الحقيبة) . علم شاحب اللون ـ (تقلب ويللى الصحيفة ـ وتفتش وينى فى الحقيبة ، ثم تخرج منها قبعة صغيرة مزينة ، ليست لها حافة ، وبها ريش مكسر ، تعود فتتجه الى الأمام ، وتصلح به شأن القبعة . تملس على الريش ، وترفع القبعة تجاه رأسها ، تمسك عن الحركة فى الوقت الذى يقرأ فيه ويللى) .

ويللى : صاحب النيافة ، الأب الجليل الموقر ، الدكتور كارلوس هنتر ، مات فى احدى السفن .

(تسود فترة صمت) .

وينى : ترنو ببصرها الى الأمام . والقبعة فى يدها ، وفى لحظة تذكر حماسية) شارلى هنتر ! (تسود لحظة صمت) ـ اننى أغمض عينى ـ وتخلع النظارة ، وتفعل ذلك ، وبينما تمسك القبعة باحدى يديها والنظارة باليد الأخرى ، يقلب ويللى الصحيفة) ـ وأنا جالسة على ركبتيه للمرة الثانية ، فى الحديقة الخلفية فى « بوروجرين » تحت الحصان المصنوع من خشب الزان . . (صمت ، تفتح عينيها، وتلبس النظارة ، وتلعب بالقبعة) ـ أوه ، يالها من ذكريات سعيدة !

(صمت ، ترفع القبعة تجاه رأسها ، تمسك عن الحركة فى الوقت الذى يقرأ فيه ويللى)

ويللى : كان مقبلا على شباب وسيم ٠

(صمت ، ترفع القبعة تجاه رأسها ، وتمسك عن الحركة ، تخلع النظارة ، وترنو ببصرها الى الأمام . والقبعة فى احدى يديهـــا ، والنظـــارة فى اليد الأخرى) ٠

وينى : حفلتى الراقصة الأولى ! (فترة صـمت طويلة) حفلتى الراقصة الثانية ! (فترة صمت طويلة ، ثم تغمض عينيها) قبلتى الأولى ! (لحظة صمت ، يقلب ويللى الصحيفة ، وتفتح وينى عينيها) ان مستر جونسون ، أو جونستون ، أو ربما كان من الواجب على أن أقول جون ستون ، له شارب كثيف جدا ، ضحم جدا (باحترام وتوفير) يكاد يكون فى لون الزنجبيل ! (لحظة صمت) فى داخل كشك أدوات البساتين ، ولو أنى لا أستطيع أن أتصوره ، فنحن لم يكن لنا كشك لأدوات الحدائق ، وهو بكل تأكيد لم يكن عنده مثل هذا الكشك ٠ (تغمض عينيها) اننى أرى أكوام الأوعية ـ (صمت) وعقد الألياف (صمت) ـ والظلال الغائرة بين ألواح العوارض ٠ (تسود لحظة صمت ، تفتح عينيهـــا ، وتلبس النظارة ، وترفع القبعة تجاه رأسها ، تمسك عن الحركة فى الوقت الذى يقرأ فيه ويللى) ٠

ويللى : مطلوب غلام ذكى

(فترة صمت ، تلبس وينى القبعة بسرعة ، وتبحث

عن المرآة . يقلب ويلى الصـــحيفة ، ترفع وينى المرآة ، وتعاين القبعة ، تضع المرآة على الأرض ، وتتجه نحو الحقيبة ، تختفى الصحيفة . تفتش وينى فى الحقيبة ، وتخرج منها منظارا مكبرا ، تعود فتتجه الى الامام ، وتبحث عن فرشاة الأسنان . تعود الصحيفة الى الظهور ، مطوية ، ثم تبدأ فى التهوية على وجه ويلى بحيث لا يمكن رؤية يده . ترفع وينى فرشاة الأسنان ، وتتفحص المقبض من خـــــلال المنظار) .

وينى : مضمون كل الضمـــــان .. (يتوقف ويلى عن التهوية) .. أصلى نقى .. (صمت ، يواصـــل ويلى التهوية ، وتضع وينى المنظار والفرشاة على الأرض . تأخذ المنديل من الصدرة ، وتخلع النظارة وتلمعها ، تلبس النظارة ، وتبحث عن المنظار ، ترفع المنظار وتلمعه ، تضع المنظار على الأرض ، وتبحث عن الفرشاة ، ترفع الفرشاة ، وتمسح المقبض ، تضع الفرشاة على الأرض ، وتعيد المنديل الى الصدرة ، تبحث عن المنظـــار ، ثم ترفع المنظار . تبحث عن الفرشاة ، ثم تلتقط الفرشاة ، وتتفحص المقبض من خلال المنظار) مضمون كل الضمان .. (يتوقف ويلى عن التهوية) .. أصلى نقى .. (لحظة صمت ، ثم يواصل ويلى التهوية) .. وبر .. (يتوقف ويلى عن التهوية ، وتســـود لحظة صمت) .. الحلوف ..

(صمت ، تضع ويني المنظار والفرشاة على الأرض ، تختفي الصحفية ، تخلع ويني النظارة ، وتضعها على الأرض ، وترنو ببصرها الى الأمام) ـ وبر الحلوف ـ (لحظة صمت) ـ هذا ما أراه غاية في الروعة ، أن لا يمر يوم ـ (تبتسم) ـ حتى نتكلم بالأسـلوب القديم ـ (تكف عن الابتسام) ـ ولا يوم ، لا يضيف شيئا أو بعض الشيء الى معلومات الانسان مهما كانت تافهة ، أقصد المعلومات ، فانها تهيىء الانسان لتلقي الآلام . (تعود يد ويللي الى الظهور ، وبها تذكرة بريد ، يفحصها وهو ينظر فيها بامعان) ـ واذا لم يكن في الامكان احتمال المزيد من الآلام،لسبب من الأسباب الغريبة ، اذن فلأغمض عيني ـ (تغمض عينيها) ـ وأنتظر حتى يجيء اليوم ـ (تفتح عينيها) ـ حتى يجيء اليوم السعيد ، اليوم الذي ينصهر فيه الجسد ، تحت درجات كبيرة من الحرارة ، ويمضي فيه على أفول القمر مئات عديدة من الساعات (فترة صمت) هذا ما أراه غاية في الراحة ، عندما أفقد قلبي ، وأغار من الوحش الكاسر . (تتجه نحو ويللي) ـ أتمنى أن تفهم ـ (ترمي تذكرة البريد ، فتنحني الى أسفل) ما هذا الذي معك .. يا ويللي،هل يمكنني أن أراه؟ (تمد يدها الى ويللي ، فيسلمها التذكرة ، يظهـر ساعده الكثيف الشعر فوق المنحدر ، ويرتفع في حركة تنم عن الاعطاء ، تفتح اليد لتسترد ما أعطت ، وتظل

على هذا الوضع حتى تعود التذكرة . تعـــود وينى فتتجه الى الأمام وتفحص التذكرة) يا للسموات ، ما الذى ينوون عمله ؟ (تبحث عن النظارة ، تلبس وتفحص التذكرة) لاشيء أكثر من أنها قذارة أصلية خالصة ! (تتفحص التذكرة) تجعل أى انسان نظيف يشعر بالغثيان ! (يضيق صبر أصابع ويللى ، تبحث عن المنظار ، ترفعه وتتفحص التذكرة من خـــلاله . تسود فترة طويلة من الصمت) هذا المخلوق القابع ورائى ، ما الذى يظن أنه يفعله ؟ (تنظر بامعان) أوه ، هذا كثير ! (يضيق صبر أصابع ويللى . فتلقى بآخر نظرة طويلة ، تضع المنظار على الأرض ، وتأخذ حافة التذكرة بين سبابتها اليمنى واصبع الابهام ، تعرض برأسها ، وتضع أنفها بين سبابتها اليسرى واصبع الابهام) ياه ! ـ (تسقط التذكرة) ـ خذها بعيدا عنى ـ (تختفى ذراع ويللى ، وسرعان ما تعود يده فتظهر حاملة التذكرة ـ تخلع وينى النظارة ، وتضعها على الأرض ، وتحدق ببصرها فيما أمامها . وفى أثناء ما يلى ذلك ، يستمر ويللى فى تمعن التذكرة ، وهو يغير من وضـــع الزوايا والمسافة بالنسبة الى عينيه) ـ وبر الحلوف ـ (وبتعبير ينم عن الحيرة) ما هو الحلوف بالضبط ؟ ـ (تسود لحظة صمت ، ثم تستطرد فتقول) أنا أعرف أنثى الخنزير بالطبع ، ولكن الحلوف .. (يختفى تعبير الحيرة) أوه ، لا بأس

مهما كان الأمر ، فهذا ما أقوله دائما ، انه سيعود .
وهذا ما أراه غاية في الروعه ، كل شيء يعـــود .
(صمت) كل شيء ؟ (صمت) لا ، ليس كل شيء .
(تبتسم) ـ لا ، لا ـ (تكف عن الابتسام) ـ ليس
الكل ـ (صمت) ـ وانما البعض ـ (صمت) ـ يطفو
ذات يوم جميل ، من حيث لا ندري ـ (صمت) وهذا
ما أراه غاية في الروعة . (تسود لحظة صمت ، تتجه
نحو الحقيبة ، تختفي اليـد والتذكرة ، تحاول أن
تفتش في الحقيبة ، ثم تمسك عن الحركة) ـ لا ـ
(تعود فتتجه الى الأمام ، وتبتسم) ـ لا ، لا ـ
(تكف عن الابتسام) ـ برفق يا ويني ـ (ترنو
ببصرها الى الأمام ، تعود يد ويللي الى الظهور . تخلع
القبعة ، ثم تختفي هي والقبعة) ـ وماذا بعد ؟ ـ
(تعود اليد الى الظهور ، تأخذ المنـــديل من فوق
رأسه ، ثم تختفي هي والمنديل ، وتقول ويني بحدة ،
وكأنها تخاطب شخصا لا يعيرها انتباها) ويني !
(يحني ويللي رأسه حتى يختفي عن الأنظار) ـ
وما هو البديل ؟ ـ (صمت) ـ ما هو البد ..
(يتمخط ويللي بصوت عال ولمـدة طويلة ، بحيث
لا يرى رأسه ، ولا ترى يداه ، تلتفت لتنظر اليه ،
ثم تسود فترة صمت ، يعود رأسه الى الظهور ، ثم
تسود فترة صمت ، يعود رأسه ، ولا ترى يداه ،
تلتفت لتنظر اليه ، ثم تسود فترة صمت ، يعود

رأسه الى الظهور ، ثم تسود فترة صمت ، تعود يده الى الظهور وبها المنديل ، تنشر المنديل على رأسه وتختفي ثم تسود فترة صمت ، تعود اليد الى الظهور وبها القبعة ، تثبت القبعة على رأسه بزاوية مائلة وتختفي ، ثم تسود فترة صمت) كم أود لو أتركك تغط فى النوم ٠ (تعود فتتجه الى الأمام ، وتأخذ فى اقتلاع العشب بصورة متقطعة ، تحرك رأسها الى أعلى والى أسفل ، لتقول) ـ آه ، أجل ، لو أننى فقط كنت قادرة على تحمل الوحدة ، أعنى أن أثرثر بعيدا دون أن يسمعنى أحد ٠٠ (صمت) وليس معنى هـــذا أننى أهنىء نفسى عـــلى أنك تسمع كثيرا ، لا يا ويللى ، معاذ الله ٠ (صمت) فربما تمر أيام وأنت لا تسمع شيئا ٠ (صمت) ولكن هناك أيضا أياما كنت ترد فيها على ٠ (صمت) وعلى ذلك ، ربما استطعت أن أقول فى كل الأوقات ، حتى عندما لا ترد على ، وربما لا تكون قد سمعت شيئا ، ان شيئا من هذا قد يسمع ، فأنا لا أتكلم الى نفسى فقط فى عالم القفر ، شىء لا أقوى على عمله أبدا ، ولا لأى فترة من الوقت ٠ (صمت) وهذا ما يساعد على الاستمرار ، أقصد الاستمرار فى هذا الكلام (صمت) على أنك لو كنت تموت (تبتسم) أو تتكلم بالأسلوب القديم (تكف عن الابتسام) أو ترحل بعيدا عنى وتتركنى ، وحينئذ ، ماذا كنت أفعل ، أو ماذا كنت « أستطيع »

أن أفعل ، طوال اليوم ، أقصد بين الجرس الذى يدق ايذانا بالاستيقاظ ، والجرس الذى يدق ايذانا بالنوم؟ (تسود لحظة صمت) لاشيء أكثر من أن أحدق فيما أمامي ، وشفتاى مزمومتان · (تسود فترة صمت طويلة ، بينما تزم شفتيها ، ولا تعود الى افتـــلاع العشب) ولا كلمة أخرى طوال الوقت الذى أتنفس فيه ، ولا شيء يقطع صمت هذا المكان (صمت) اللهم الا تنهيدة من حين لآخر ، من كل حين وآخر . آخذها بقدر الامكان ، وأنا أنظر فى المرآة (صمت) أو نوبة قصيرة من الضحك ، اذا استطعت أن أروى النكتة القديمة مرة أخرى · (تسود فترة صمت ، وتظهر على وجهها الابتسامة التى تتسع حتى تبدو وكأنها بلغت الذروة فى نوع من الضحك ، عندما يحل محلها فجأة تعبير من الضيق) ـ شعرى ! ـ (لحظة صمت) ـ هل ترانى نظفت شـــعرى ومشطته ؟ ـ (لحظة صمت) ربما أكون قد فعلت ذلك · (لحظة صمت) اننى أعمل هذا فى العادة · (لحظة صمت) لا يستطيع الانسان أن يفعل الا أقل القليل · (لحظة صمت) الانسان يعمل هذا كله (لحظة صمت) كل ما يستطيعه (لحظة صمت) هذه طبيعة البشر · (لحظة صمت) طبيعة انسانية (تبدأ فى تفحص الربوة . فتنظر الى أعلى) ضعف بشرى (تواصل تفحص الربوة ، فتنظر الى أعلى) ـ ضعف طبيعى ـ (تواصـــــل تفحص

الربوة) لا أرى أى مشط (تتفحص) ولا أية فرشاة شعر . (تنظر الى أعلى ، يعلوها تعبير الحيرة ، تتجه نحو الحقيبة ، وتفتش فيها) ـ المشط هنا ـ (تعود فتتجه الى الأمام ، ويعلوها تعبير الحيرة ، وتعود الى الحقيقة وتفتش فيها) ـ الفرشاة هنا ـ (تعود فتتجه الى الأمام ، ويعلوها تعبير الحيرة) ـ ربما أعدتها مرة ثانية ، بعد الاستعمال ـ (تســود لحظة صمت ، وتستطرد قائلة) ـ ولكننى فى العادة لا أعيد الأشياء بعد استعمالها ، وانما أتركها حولى ، وأعيدها كلها فى آخر النهار (تبتسم) ـ عدنا الى الكلام بالأسلوب القديم ـ (لحظة صمت) ـ الأسلوب القديم الحلو ـ (تكف عن الابتسام) ـ والآن .. يبدو لى .. أننى أتذكر .. (وفجأة تتكلم بقلة اكتراث) ـ أوه ، لا بأس ، فماذا يهم ، هذا ما أقوله دائما . مجرد أننى سوف أعيد المشط والفرشاة فيما بعد ، سأعيدها كلها ـ (تسود لحظة صمت ، وتبدو فى حيرة) ـ كلهم ؟ ـ (صمت) أم كلها ؟ ـ (صمت) ـ هل أنظفه بالفرشاة وأمشطه ؟ ـ (صمت) ـ هذا يبدو غير لائق بشكل ما ؟ ـ (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه قليلا نحو ويللى) ـ ماذا تراك أن تقول يا ويللى ؟ ـ (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه اليه أزيد قليلا) ماذا تراك أن تقول يا ويللى ، عندما تتكلم عن شعرات رأسك ، تقول كلها أم كلهم ؟ (تسود لحظة صمت) ـ

أقصد الشعرات التى على رأسك ـ (تســـود لحظة صمت ، ثم تتجه اليه أزيد قليلا) ـ الشعرات التى على رأسك يا ويللى ، ماذا تراك تقول ، عندما تتكلم على الشعرات التى على رأسك ، كلها أم كلهم ؟

(تسود فترة طويلة من الصمت)

ويللى : كلها .

وينى : (تعود فتتجه الى الامام ، وبابتهاج) ـ أوه ، أنت تنوى الكلام معى اليوم ، سيكون هذا اليوم ـ يوما سعيدا ! (لحظة صمت ، ثم يزول الابتهاج) ـ يوم سعيد آخر ـ (لحظة صمت) ـ آه ، لا بأس ، فيم كنت تفكر ؟ ـ فى شعرى . أجل ، فيما بعـــد ، سأكون شاكرة له فيما بعد ـ (تسود لحظة صمت) ـ أنا عندى ـ (ترفع يديها الى القبعة) ـ نعم ، فوق ، قبعتى فوق ـ (تخفض يديها) ـ لا أستطيع أن أخلعها الآن ـ (تسود لحظة صمت) ـ هنـاك أوقات لا يستطيع الانسان فيها أن يخلع قبعته ، الا اذا كانت حيـــاة الانسان فى خطر ، أوقات لا يستطيع الانســـان فيها أن يلبسها ، وأوقات لا يستطيع الانسان فيها أن يخلعها ـ (تسود لحظة صمت) ـ ما أكثر ما قلت ، البسى قبعتك الآن يا وينى ، فليس هناك شىء مثلها ، اخلعى قبعتك الآن يا وينى ، كما لو كنت فتاة طيبة ، لأنهـــا

ستفيدك ، ولكنى لم أكد أفعل شيئا ـ (تسود لحظة صمت) أو لعلى لم أكن أستطيع أن أفعل شيئا ـ (تسود لحظة صمت ، ترفع يدها ، وتخرج من تحت القبعة خصلة من الشعر ، تسحبها تجاه عينيها ، وتنظر اليها بحول ، ثم تتركها تعـــود الى ما تحت القبعة ، وتنزل يدها) ـ قلت عنها انها ذهبية ، فى ذلك اليوم ، بعد أن رحل آخر ضيف ـ (ترفع يدها فى حركة تنم عن رفع كأس) ـ فى صحة خصلتك الذهبية .. أرجـــو ألا يحل بها أبدا ـ (يتهدج صوتها) ـ أرجـــو ألا يحل بها أبدا ـ (تخفض يدها ، وتخفض رأسها ، وتســـود لحظة صمت ، ثم تقول بصوت خفيض) ـ فى ذلك اليوم ـ (تسود لحظة صمت ، ثم تستطرد فتقول) ـ أى يوم ؟ ـ (تسود لحظة صمت ، ثم ترفع رأسها وتقول بصوت طبيعى) ـ ما المسألة الآن ؟ ـ (تسود لحظة صمت) ـ الكلمات تضيع منى ، هناك أوقات تضيع فيها الكلمات ـ (تتجه قليلا نحو ويلى) ـ أليس الأمر كذلك ، يا ويلى ؟ ـ (تســود لحظة صمت ، وتتجه اليه أزيد قليلا) ـ أليس الأمر كذلك ، يا ويلى ، انه حتى الكلمات تضيع فى بعض الأوقات ؟ (تسود لحظة صمت ، ثم تعود فتتجه الى الأمام) ـ ماذا يجب على الانسان أن يعمل حينئذ ، حتى تعود الكلمات ، أنظف الشعر وأمشطه ، اذا

لم يكن ذلك قد حدث . أو اذا كان فى الأمر شك ، أقلم الأظافر اذا كانت فى حاجة الى التقليم ، فهذه الأشياء تساعد الانسان فى التغلب على الصعاب ـ (صمت) ـ هذا ما أقصده ـ (صمت) ـ هذا كل ما أقصده ـ (صمت) ـ هـــذا ما أراه غاية فى الروعة . فلا يمر يوم ـ (تبتسم) ـ عدنا الى الكلام بالأسلوب القديم ـ (تكف عن الابتسام) ـ دون أن يكون هناك شىء من البركة ـ (يسقط ويللى فيما وراء الربوة . ويختفى رأسه ، فتتجه وينى صوب ما حدث) ـ فى شكل من الأشكال ـ (تتمطى خلفها والى أسفل) ـ اذهب الى جحـــرك الآن يا ويللى ، لقد عرضت نفســـك للشمس بما فيه الكفاية ـ (تسود لحظة صمت) ـ افعل كما أقول يا ويللى . لا ترقد مستلقيا هناك فى هذه الشمس المحرقة . عد الى جحرك ـ (تسود لحظة صمت) ـ هيا ٠٠ اذهب الآن يا ويللى ـ (يشرع ويللى ، وهو لا يرى فى الزحف ناحية اليسار ، متجها الى الجحر) ـ يالك من رجل ـ (تتابع تحركه بعينيها) ـ لا تبدأ برأسك أيها الغبى ، والا كيف تستطيع أن تستدير ؟ (صمت) ـ هكذا يكون الحال ٠٠ استدر جهة اليمين ٠٠ والآن ٠٠ عد الى الداخل ٠٠ (صمت) ـ أوه ، أعرف أن الأمر ليس ســـهلا ، يا عزيزى ، الزحف الى الوراء ، ولكنه يعود بالفائدة فى آخـر

الأمر ـ (صمت) ـ لقد تركت وراءك ما يخصك من الفازلين ـ تراقبه وهو يزحف راجعا من أجل (الفازلين) ـ الغطاء ! ـ (تراقبه وهو يزحف راجعا الى الجحر ، وتقـــول وهي مستثارة) ـ قلت لك لا تبدأ برأسك ! ـ (صـــمت) ـ اتجه أكثر الى اليمين ـ (صمت) ـ قلت لك الى اليمين ـ (تسود لحظة صمت ، ثم تقول وهي مستثارة) ـ دع مؤخرتك الى أسفل ، ألا تستطيع ! ـ (صمت) ـ والآن ـ (صمت) ـ هكذا ـ (كل هذه التعليمات تصدرها بصوت عال ، أما الآن فتتكلم بصوت طبيعي ، وهي لا تزال متجهة اليه ؟ ـ هل تستطيع أن تسمعني ؟ (صمت) ـ أتوسل اليك يا ويللي ، مجرد أن تقول نعم أو لا ، هل تستطيع أن تسمعني ، مجرد أن تقول نعم أو لا تقول شيئا .

(تسود فترة صمت)

ويللي : نعم

ويني : (تتجه الى الأمام ، وبنفس نبرة الصـــوت) ـ والآن ؟ .

ويللي : (مستثارا) نعم

ويني : (بصوت أقل علوا) والآن ؟

ويللي : (أكثر استثارة) نعم .

ويني : (لا تزال تحافظ على صوتها الأقل علوا) ـ والآن ؟

ـ (بصوت أعلى قليلا) ـ والآن ؟ .

ويلى : (محتدا) نعم !

وينى : (بنفس نبرة الصوت) لم يعد هنـــاك خوف من حرارة الشمس (تسود لحظة صمت) هل سمعت هذا ؟

ويلى : (مستثارا) نعم .

وينى : (بنفس نبرة الصوت) ـ ماذا ؟ ـ (تســود لحظة صمت) ـ ماذا ؟ .

ويلى : (أكثر استثارة) لم يعد هناك خوف .

(تسود فترة صمت)

وينى : (بنفس نبرة الصوت) لم يعد هناك ماذا ؟ (تسود لحظة صمت) لم يعد هناك خوف من ماذا ؟

ويلى : (محتدا) لم يعد هناك خوف !

وينى : (نبرة صـــوت طبيعيـــة ، تثرثر) باركك الله يا ويلى ، اننى أقدر طيبتك ، وأعرف ماذا تكلفك من الجهد ، والآن يمكنك أن تسترخى ، فلن أعود الى ازعاجك ، اللهم الا اذا اضطررت الى ذلك ، أعنى اذا أشرفت مواردى على النفاد ، وهو أمر بعيد الاحتمال ، كل ما أحتاج اليه هو أن أعرف أنك نظريا تستطيع أن تســـــتمع الى ، رغم أنك فى الواقع لا تستمع ، كل ما أحتاج اليه هو أن أشعر بك هناك على مدى السمع ، وأنك تنبض بالحياة بدرجـــــة

معقولة ، فلا أقول شيئا لا أكون راغبة فى أن تسمعه ، أو يكون مدعاة لأن يسبب لك الآلام ، ولا أكون مجرد ثرثارة أهذى بكلام فارغ معتمـــدة عليك ، كما لو كانت مسألة غير معروفة ، وشيء ما يثير فى نفسى بشأنها القلق والاضطراب (لحظة صـــمت تتنفس فيها) ــ الألم ــ (تضع اصبع السبابة ، والاصبع الأوسط فوق منطقة القلب ، تحركهما ، ثم تســتقر بهما على موضع) ــ هنا ــ (تحركهما قليـــلا) ــ تقريبا ــ (تبعد يدها) ــ أوه ، لا شك أنه سيأتى الوقت الذى ينبغى على فيه قبل أن أتفوه بكلمة ، أن أتأكد من أنك سمعت الكلمة التى ســـبقتها ، وحينئذ لا يكون هناك شك فى أن يأتى آخر ، يوم آخر ، ينبغى على فيه أن أتعلم كيف أتحـــدث الى نفسى ، وهذا أمر لا أقدر أبدا على احتماله فى مثل هذه القفار (تسود لحظة صمت) أو أن أحدق فيما أمامى وشفتاى مضمومتان (تضم شفتيها) ــ طوال اليوم كله ، (تحدق وتضم شفتيها مرة ثانية) ــ لا ــ (تبتسم) ــ لا ٠٠ لا ــ (تكف عن الابتسام) الحقيبة هناك بالطبع ٠ (تتجه نحوها) ســـتكون الحقيبة هناك دائما ــ (تعــود فتتجه الى الأمام) ــ نعم ، هذا فيما أظن ــ (تسود فترة صمت) حتى ولو رحلت يا ويللى (تتجه نحـــوه قليلا) ــ أنت راحل يا ويللى ، أليس كذلك ؟ ــ (لحظة صمت ، ثم

بصوت أعلى) ويلى ! (لحظة صمت ، تتمطى بعدها الى الخلف والى أسفل لتطل عليه) وعلى هذا نقلت قشك ، هذا شيء معقول . (تسود لحظة صمت) ـ ولابد لى أن أقول انك تبدو مستريحا وذقنك فوق يديك ، وعيناك الزرقاوان الباليتان كأنهما فنجانان فى عتمة الظلام ـ (صمت) ـ انى أتساءل ان كنت تستطيع أن ترانى من هناك . انى مازلت أتساءل ـ (صمت) ـ لا ؟ ـ (تعود فتتجه الى الأمام) ـ أوه ، أعـــرف أنه اذا اجتمع اثنـــان معـا (فى لعتمة واضطراب) ـ بهذا الشكل ـ (بنبرة صـــوت طبيعية) ـ وأنه اذا كان الواحد يرى الآخر . فان الآخر يرى الواحد بالضرورة ولقد علمتنى الحيـــاة هذا أيضا ـ (لحظة صمت) ـ نعم ، الحياة فيمـــا أظن ، فليست هناك كلمة أخرى ـ (تتجه نحوه قليلا) ـ هل تظن أنك تستطيع أن ترانى من حيث أنت ، اذا رفعت عينيك فى اتجاهي ـ (تتجه نحوه أزيد قليلا) ـ ارفع عينيك الى يا ويلى . وقـــل لى ان كنت تستطيع أن ترانى ، افعل ذلك من أجلى ، وسأميل الى الوراء بقدر ما أستطيع ـ (تفعل هذا ، وتسود فترة صمت) ـ لا ؟ ـ (صمت) ـ لا يهمك أبدا ـ (تعود وهى متألمة ، فتتجه الى الأمام) ـ الأرض اليوم شديدة الصلابة ، هل يمكن أن يكون وزنى قد زاد ، لا أظن ! (لحظة صمت ، تغيب فيها

وعيناها مسدلتان) ـ ربما كانت الحرارة الشديدة هي السبب ـ (تهم ، فتلمس الأرض ، وتربت عليها) ـ الأشياء كلها تتمدد ، بعضـــها أكثر من البعض الآخر ـ (لحظة صمت ، بعـــدها تلمس الأرض ، وتربت عليها) ـ وبعضها أقل ـ (لحظة صمت ، ثم تستطرد قائلة) أوه ، أستطيع أن أتخيل جيدا ما الذي يدور بخاطرك ، فليس يكفي أن تظل منصتا الى المرأة ، وعلى الآن أيضا أن أنظر اليها جيدا • (لحظة صمت ، بعدها تستطرد قائلة) ـ حسن ، هذا مفهوم جدا ـ (لحظة صمت ، بعدها تستطرد قائلة) ـ مفهوم تماما ـ (لحظة صمت ، بعدها تســـتطرد قائلة) ـ لا يبدو الانسان وكأنه يطلب الكثير ، بل الواقع أنه يبدو أمرا عسيرا في بعض الأوقات ـ (يضعف صوتها ، ويهبط الى درجة التمتمة) ـ أن تطلب القليل من مخلوق ، وأنا أطرح القضية برفق ولين ، في حين أنك في الواقع ، حين تفكر فيهـــا ، وتنظر في داخل قلبك ، لترى الشخص الآخر ، وما يحتاج اليه ، السلام ، أن يترك في سلام ، لعل القمر حينئذ ، طوال هذا الوقت وأنا أناجي القمر • (تسود فترة صمت ، وفجأة تتوقف اليد التي تربت على الأرض ، وبحيوية ونشاط) ـ أوه ، أقـــول ما هذا ؟ ـ (تميل برأســـها على الأرض ، وكمن لا يصدق) تشبه نوعا من أنواع الحياة ! (تبحث عن

النظارة ، تلبسها . تميل أكثر ، وتسـود لحظة صمت) ــ نملة ! ــ (تتراجع ، وبولولة) ــ ويللي ، نملة ، نملة على قيد الحياة ! ــ (تقبض على المنظار المكبر ، وتميل على الأرض ثانية ، وتفحص من خلال المنظار) ــ أين ذهبت ؟ ــ (تتفحص) ــ آه ! ــ (تتابع تحركها من خلال العشب) ــ لها فى أذرعها ما يشبه الكرة البيضاء الصغيرة ــ (تتابع تحركها . ثم تتوقف يدها ، وتسود لحظة صمت) ــ اختفت بالداخل ــ (تستمر لحظة تحدق فى بقعة من خلال المنظار ، ثم تعتدل فى جلستها ببطء ، وتضع المنظار على الأرض ، تخلع النظارة ، وتحدق أمامهـا ، والنظارة فى يدها ، وتقول فى آخر الأمر) تشبه الكرة البيضاء الصغيرة ــ (تسـود فترة صمت طويلة ، ثم تصدر حركة تنم عن وضع النظارة على الأرض) .

ويلى : بيض .

وينى : (تمسك عن الحركة) ماذا ؟

(تسود لحظة صمت)

ويللى : بيض (تسود فترة صمت ، ثم تصدر حركة تنم عن وضع المنظار على الأرض نمل (بفتح الميم)

وينى : (تمسك عن الحركة) ماذا ؟

(تسود لحظة صمت)

ويلى : نمل (بفتح الميم)

(تسود فترة صمت ، تضع النظارة على الأرض ، ترنو ببصرها الى الأمام ، وتقول فى آخر الأمر)

وينى : (تتمتم) ـ يا الهى ! ـ (تسود لحظة صمت ، ثم يضحك ويللى بهدوء ، وبعد لحظة تشاركه وينى فى الضحك ، ويضحكان معا فى هدوء ، يتوقف ويللى عن الضحك . تواصل وينى الضحك وحدها لحظة من الزمن ، يشاركها ويللى ثم يضحكان معا ، تتوقف وينى ، يواصل ويللى الضحك فترة ثم يتوقف وتسود فترة صمت ، وبعدها تقول وينى فى نبرة صوت طبيعية) ـ آه ، كم هو رائع على أية حال أن أسمعك تضحك ثانية يا ويللى ، كنت مقتنعة بأننى لن أسمعك أبدا ، وبأنك لن تضحك أبدا (لحظة صمت) ـ أظن أن بعض الناس سيقولون عنا أننا تافهون وغير محترمين ، ولكننى أشك فى هذا (لحظة صمت) ـ كيف يستطيع الانسان أن يمجد الاله العلى القدير تمجيدا أفضل من أن يضحك معه لدعاباته الصغيرة ، وبخاصة من هم أشد الناس فقرا ؟ (تسود لحظة صمت) ـ أظنك توافقنى على هذا يا ويللى ، (فترة صمت) ـ أم أننا كنا نضحك لشيئين يختلف أحدهما على الآخر تمام الاختلاف ؟ (تسود لحظة صمت) ـ لا بأس ، ماذا يهم ، هذا ما أقوله دائما ، مادام الانسان .. أنت تعرف ...

ما هذا البيت الرائع ·· ضحك زائد عن الحد ··
وهناك شيء ما ، شيء ما ·· ضحك زائد عن الحد
وســـــط أشد المصائب قسوة وأكثرها ضراوة ـ
(فترة صـــمت) ـ والآن ؟ ـ (فترة طويلة من
الصمت) هل كنت في يوم من الأيام جديرة بالحب
يا ويللى ؟ (لحظة صمت) هل كنت في أى وقت من
الأوقات جديرة بالحب ؟ (لحظة صمت) ـ لا تسيء
فهم سؤالى ، أنا لا أسألك ان كنت قد أحببتنى ،
فنحن نعرف كل ما يتعلق بهذا الموضوع . وانما
أسألك ان كنت قد وجدتنى جديرة بالحب ـ فى
وقت من الأوقات ـ (لحظة صـــمت) لا ؟ (لحظة
صمت) لا تستطيع ؟ (لحظة صمت) لا بأس . فأنا
أعترف بأنه سؤال صعب ،وأنت قد فعلت أكثر
مما فى مقدورك حتى الآن ، وليس عليك الآن ،
الا أن تستلقى على ظهرك وتستريح ، وأنا لن أعود
الى ازعاجك اللهم الا اذا اضطررت الى ذلك ـ لمجرد
أن أعرف أنك لازلت موجودا على مدى السمع ،
وأنك فى شبه حالة الانتباه بدرجة معقولة ـ أوه ـ
بما يكفى لأن يجعلنى أغرق فى جنـــات النعيم
(تسود فترة صمت) لقد تقدم النهـــار الآن ·
(تبتسم) ـ عدنا الى الكلام بالأسلوب القديم ـ
(تكف عن الابتسام) ـ وربما لم يجيء الوقت بعد
لكى أغنى أغنيتى ـ (لحظة صمت) ذلك لأنى أرى

أن التبكير بالغناء خطأ كبير (وهى تتجه الى الحقيبة)
هناك الحقيبة بالطبع ـ (تنظر الى الحقيبة) الحقيبة (تعود
الى الأمام) ترى هل يمكنني أن أحصى محتوياتها ؟
(صمت) ـ لا ـ (صمت) ترى هل أستطيع أن
أجيب ان جاءنى انسان طيب وسألنى ما الذى معك
يا وينى فى هذه الحقيبة السوداء الـــكبيرة ؟ هل
أستطيع أن أجيب عليه اجابة وافية ؟ (صـــمت)
لا ·· (صمت) الأعماق بنوع خاص ، من يدرى
ما تنطوى عليه الأعماق من كنوز (صمت) وماتنطوى
عليه من الوان العزاء · (تستدير لتنظر الى الحقيبة)
ـ أجل ، هذه هى الحقيبة (تعود فتتجه الى الأمام)
ولكن شيئا ما يقول لى ، لا ترهقى الحقيبة بالعمل
يا وينى ، انتفعى بها بالطبع ، واجعليهـــا فى
خدمتك ·· عندما تعجزك الحيلة بالتأكيد ، ولـكن
كونى بعيدة النظر ، شىء ما يقول لى ، كونى بعيدة
النظر يا وينى ، بعيدة النظر الى الحد الذى لابد أن
تضيع فيه الكلمات (تغمض عينيها ، وتسود لحظة
صمت ، ثم تفتح عينيها) ـ ولا ترهقى الحقيبـــة
بالعمل · (تسود لحظة صمت ، ثم تستدير لتنظر
الى الحقيبة) ربما وضعت يدى فيهـــا مجرد مرة
واحدة ـ (تعود الى الأمام ، ثم تغمض عينيها وتمد
ذراعها الأيسر ، وتدب يدها فى الحقيبة ، وتخرج
منها مسدسا ، وباستياء) أنت مرة ثانية ! (تفتح

عينيها ، وتصوب المسدس الى الأمام وتتأمله ، ثم تزن ثقله فى راحة يدها) لابد أنك تظن أن وزن هذا الشيء سوف يهوى بيدى فى ... النوبات الأخيرة ، ولكن لا ، انه لا يفعل شيئا من هذا القبيل ... انه دائماً فى سمو وارتفاع ، مثله فى ذلك مثل براوننج ، (تسود لحظة صمت) براونى .. (تستدير قليلا فى اتجاه ويللى) هل تذكر براونى يا ويللى (فترة صمت) تصر على أن انتزعه منك ؟ وكنت تقول لى ، انتزعيه يا وينى ، انتزعيه ، قبل أن أهرب بجلدى مما أنا فيه من شقاء . (تعــود فتتجه الى الأمام ، وبسخرية واستهزاء) شقاؤك أنت ؟ (وهى تخاطب المسدس) أوه ، أظن أنه مما يشعرنى بالارتياح أن أعرف أنك موجود هنا ، ولكننى قد سئمتك . (لحظة صمت) سأتركك فى زوايا النسيان ، هذا ما أنتوى عمله . (تضع المسدس على يمينها على الأرض) لتبق هناك ، فهذا هو مثواك من اليوم فصاعدا . (تبتسم) عــدنا الى الكلام بالأسلوب القديم (تكف عن الابتسام) ـ والآن ؟ ـ (تسود فترة صمت طويلة) هل مازالت قــوة الجاذبية كما كانت عليه يا ويللى ، لا أظن . (لحظة صمت) أجل . ان شعورى يزداد بأنه لو لم يكن هناك ما يجذبنى . (تتحرك حركة فيها ايماءة) ـ بهذه الطريقة ، لكنت ببساطة قد ارتفعت فى طبقات

الجو العليا . (لحظة صمت) وأنه ربما يجيء يوم من الأيام ، تميد فيه الأرض ، وتسمح لى بالارتفاع ، ان الجذب عظيم للغـــاية ، نعم ، فهو يحطم كل ما يحيط بى . ويدفع بى الى الخارج (لحظة صمت) ألم ينتبك هذا الشعور أبدا يا ويللى ، الشعور بأن شيئا ما يدفعك الى أعلى ؟ (لحظة صمت) ألا تضطر أحيانا الى التشبث بشيء ، يا ويللى ؟ (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه اليه قليلا)

ويللى

(تسود لحظة صمت)

ويللى : يدفعك الى أعلى ؟

وينى : نعم يا حبيبى .. الى أعلى .. فى داخـــل القبة الزرقاء ، مثل لعاب الشمس (لحظة صـــمت) ألم يحدث هذا ؟ (لحظة صمت) ألا تشعر بهذا ؟ (لحظة صمت) لا بأس ، انها قوانين طبيعيـــة ، قوانين طبيعية ، وأظن أن مثلها مثل كل شيء آخر ، فى أنها جميعا تتوقف على الـــكائن الذى تكونه ، وكل ما أستطيع أن أقوله هو أن هذه القوانين ، من ناحيتى وبالنسبة لى ، ليست ما كانت عليه عندما كنت صغيرة و ... حمقاء و ... (تخفض رأســها ، وبتلعثم واضطراب) .. جميلة .. وربمـــا .. جذابة .. بصورة من الصور .. لكى أكون موضع

نظرة (لحظة صمت ، ثم ترفع رأسها) سامحنى ياويللى ، فلا يزال الأسى يباغتنى (وبنبرة صوت طبيعية) آه ··· لا بأس ، فكم هو رائع على أية حال ، أن أعرف أنك موجود هناك ، كما هى العادة ، وأنك ربما كنت مستيقظا ، وربما كنت على علم بكل هذه الأشياء ، أو ببعض هذه الأشياء ، ياله من يوم سعيد بالنسبة لى (لحظة صمت) سعيد للغاية (لحظة صمت) انها نعمة ألا تنمو الأشياء ، تصور لو أن كل هذه الأشياء بدأت تنمو من جديد · (تسود لحظة صمت) تصور · (تسود لحظة صمت) آه ، طيب ، رحمات واسعة ، (تسود فترة صمت طويلة) لا أستطيع أن أقول شيئا أكثر من هذا (لحظة صمت) فى هذه اللحظة (لحظة صمت ، ثم تستدير لتنظر الى الحقيبة ، تعود فتتجه الى الأمام ، ثم تبتسم) لا ·· لا (تكف عن الابتسام ثم تنظر الى الشمسية) أظن أنه يمكننى ـ (ترفع الشمسية) ـ نعم ، أظن أنه يمكننى ·· أن أفتح هذا الشيء الآن ، (تبدأ فى فتح الشمسية ، وتستغرق وقتا فى التغلب على الصعوبات الآلية) يظل الانسان يدخل أشياء ، ويخرج أشياء ، خوفا من أن يخرج أشياء قبل الأوان ، ويمر النهار مر الكرام ، يمر تماما مر الكرام ، من غير أن يخرج الانسان شيئا ، من غير أن يخرج شيئا على الاطلاق ·

(الشمسية الآن مفتوحة عن آخر ، تستدير ناحية اليمين ، وتدير الشمسية بكسل واسترخاء هنـا وهناك) آه ، طيب ـ ما قلناه أقل من أن يقال ، وما عملناه أقل من أن يعمل ، وعلى هذا فالخوف عظيم ، عظيم للغاية ، فهناك أيام بعينها ، يجـد الانسان فيها نفسه ٠٠ مهجورا ، مهملا ، ولا تزال الساعة تجرى ، قبل أن يدق جرس النوم ، ولا شيء يقال أكثر مما قلناه . ولا شيء يعمل أكثر مما عملناه، لأن الأيام تمر مر الكرام بعينها تمر مر الكرام ، تمر تماما مر الكرام ، ويدق الجرس ، ولما نقل شيئا أو قليل هو ما قلناه ، ولما نعمل شيئا ، أو قليل هو ما عملناه ٠ (ترفع الشمسية) وهذا هو مصـدر الخطر (تعود فتتجه الى الأمام) وما يجعلنى أحتاط لهذا الخطر (ترنو ببصرها الى الأمام ، وهى ترفع الشمسية بيدها اليمنى ، وتسود أطول فترة ممكنة من الصـمت) اعتـدت أن أفرز عرقا غزيرا ٠ (صمت) والآن أفرز وبصعوبة ، بصعوبة بالغة ٠ (صمت) ومع أن الحرارة شديدة جدا ٠ (صمت) الا أن العرق قليل جدا (صمت) وهذا ما أراه رائعا للغاية (صمت) الطريقة التى يكيف بها الانسان نفسـه (صـمت) مع الظروف المتغيرة (تنقـل الشمسية الى يدها اليسرى ، وتسود فترة طويلة من الصمت) عملية الرفع تتعب الذراع (تسود

لحظة صمت) لا أستطيع أن أتحرك (تسود لحظة
ماشيا فى الطريق (تسود لحظة صمت) انها تتعبه
فقط اذا كان جالسا مستريحا (تسود لحظة صمت)
هذه ملاحظة غريبة (لحظة صمت) أرجو أن تكون
قد سمعت ذلك يا ويللى ، وكم يؤسفنى أن أعرف
أنك لم تسمع شيئا من ذلك . (تأخذ الشمسية فى
كلتا يديها ، وتسود فترة طويلة من الصمت) كم
يرهقنى أن أرفعهـــا الى أعلى دون أن أضـــعها على
الأرض ، هيا يا ويللى ، وسأطيع أوامرك فورا كما
(لحظة صمت) أسوأ لى أن أرفعها الى أعلى من أن أضعها
على الأرض ولكنى لا أستطيع أن أضعها على الأرض
العقل يقول لى ، ضعيها على الأرض يا وينى ، فانها
لا تساعدك فى شيء ضعى هذا الشى على الأرض ، وخذى
شيئا آخر غيره . (تسود لحظة صمت) ولكنى لا أستطيع
لحظة صمت) ولو أنها لا تتعبه اذا كان الانسان
صمت) أصدر لى أمرا بأن أضع هذه الشمسية على
يشغل حيزا من الفراغ ، ويحدث نوعا من التغيير ،
قول هذا ولكنى لا أستطيع أن أتحرك ، لو أنى
أعود الى الحركة مرة ثانية . (لحظة صمت) ويللى
(بوداعة) ساعدنى (لحظة صمت) لا ؟ (لحظة
صمت) لا ، ان شيئا ما لابد أن يحدث فى العالم .
الأرض .) ولكنى لا أستطيع ان أضعها على الأرض
كنت أفعل دائما ، كما كنت أحترمك وأطيعك .

(صمت) أرجوك . يا ويللى (بوداعة) أستحلفك بالرحمة والحنان . (لحظة صــمت) لا ؟ (لحظة صمت) لا تســتطيع ؟ (لحظة صــمت) حسن
فأنا لا ألومــك ، لا ، فــلا يليـــق بى
أنا التى لا أستطيع أن أتحرك أن ألقى اللوم على عزيزى ويللى لأنه لا يستطيع أن يتكلم . (لحظـــة صمت) ولكنى لحسن الحظ عدت ثانية الى الكلام .
(لحظة صمت) عندى مصباحان ، اذا انطفأ أحدهما بدأ الآخر فى الاشتعال ، وهذا ما أراه غاية فى الروعة ، (تسود لحظة صمت) أوه ، أجل ، انهــا رحمات واسعة . (تسود أطول فترة ممكنة من الصمت ، واذا بالشمسية تشتعل فيها النــار ، ويصعد منها الدخان ، وتتراقص ألسنة اللهب ان كان ذلك فى الامكان ، تتشمم الرائحة ، وتنظر الى أعلى ، ثم تلقى بالشمسية الى يمينها وراء الربوة ، وتتمطى خلفها لتشاهدها وهى تحترق ، (تسود لحظة صمت) آه أيها التراب) ، يا آلهـــة الاطفاء العتيقة . (تعود فتتجه الى الأمام) أظن أن هذا قد حــدث من قبل ، ولو أنى لا أستطيع أن أتذكر (صمت) هل تستطيع أنت يا ويللى ؟ (تتجه نحوه قليلا) هل تستطيع أن تذكر أن هذا قد حــدث من قبل ؟ (تسود لحظة صمت ، ثم تتمطى خلفها لتطل عليه) هل تعرف ما الذى حدث يا ويللى

(لحظة صمت) هل أعرضت عنى مرة ثانيـــة ؟
(لحظة صمت) أنا لا أسألك ان كنت تحيا كل هذا الذى يجرى ، وانما أسألك فحسب ، ان لم تكن قد أعرضت عنى مرة ثانية · (لحظة صمت) يبدو أن عينيك مغمضتان ، ولكن هذا ليس له معنى خاص فيما نعرف (لحظة صمت) ارفع اصبعك يا عزيزى ارفعه أرجوك ، ان لم تكن قد فقدت الاحساس تماما (لحظة صمت) افعل ذلك من أجلي يا ويلي ، أرجوك ، الخنصر وكفي ، ان كنت لا تزال في وعيك (صمت ، وبابتهاج) أوه ، كل الأصابع الخمس ، أنت اليوم حبيبى ، وربما واصلت الآن بعقل مستريح ، (تعود فتتجه الى الأمام) أجل ، ما هو الشيء الذي حدث ، ذلك لم يحدث من قبل ، ومع ذلك فأنا فى عجب من أمرى ، أجل أنا أعترف بأنني فى عجب (لحظة صمت) والشمس متوهجة بكل هذه الضراوة ، وتوهجها يزداد ضراوة فى كل ساعة ، أليس من الطبيعى أن تشتعل النار فى أشياء لم يعرف عنها مطلقا أنها تشتعل ، أعني بهذه الطريقة التلقـائية (لحظة صمت) أو لن أنصهر أنا نفسي فى النهاية أو أحترق ، أوه ، أنا لا أقصد بالضرورة أن أحترق فى ألسنة اللهب ، لا ، وانما أعنى أن تلفحنى النار شيئا فشيئا حتى تحيلنى الى رماد أسود ، كل هـذا (تحرك ذراعيها حركة فيها الدلالة الكافية) كل

هذا اللحم الذى يمكن رؤيته (لحظة صمت) ومن ناحية أخرى ، هل سبق لى أن عرفت وقتا ساد فيه الاعتدال ؟ (لحظة صمت) لا · (لحظة صمت) انى أتكلم عن الأوقات المعتدلة ، والأوقات الحارة ، انها كلمات فارغة خالية من المعنى (لحظة صمت) انى أتكلم عن الوقت الذى لم أكن فيه قد قيدت بعد ــ بهذه الطريقة ــ وكانت لى ساقان ، وكنت أنتفع مثلك بساقى ، كنت أستطيع أن أبحث مثلك عن مكان ظليل عندما أتعب من الشمس ، أو عن مكان مشمس عندما أتعب من الظل · وكلها كلمات فارغة خالية من المعنى · (تسود لحظة صمت) ليس اليوم أشد حرارة من الأمس ، ولن يكون غدا أشد حرارة من اليوم ، وكيف يمكن ذلك ؟ هكذا كانت فيما سبق فى الماضى السحيق ، وفيما هو آت فى المستقبل البعيد · (تسود لحظة صمت) واذا غطت الأرض فى يوم من الأيام ثدياى ، فعندئذ لن أرى ثديى أبدا ، ولكن يرى أحد ثديى على الاطلاق · (لحظة صمت) أرجو أن تكون قد سمعت شيئا من ذلك يا ويللى ، وسأكون آسفة اذا عرفت أنك لم تسمع شيئا من هذا كله ، فأنا لا أرتفع كل يوم الى تلك القمم العالية · (لحظة صمت) نعم ، شىء ما يبدو أنه قد حدث ، شىء ما بدا أنه قد حدث ، ولا شىء قد حدث ، لا شىء على الاطلاق ، أنت على صواب

يا ويللى (لحظة صمت) غدا سيعود ظل الشمس الى هناك ، وسيكون الى جوارى فوق هذه الربوة ليساعدنى خلال النهار • (تسود لحظة صمت ، ثم ترفع المرآة) اننى أرفع هـــذه المرآة الصـــغيرة ، وأكسرها على الحجر ـ (تفعل ذلك) ـ وألقى بها بعيدا ـ (تفعل ذلك ، فتلقى بها بعيدا فيما وراءها) غـدا ستكون فى الحقيبة مرة ثانية ، دون ان يصيبها خدش ، لتساعدنى خلال النهار (لحظة صمت) لا ، لا يســـتطيع الانسان أن يفعل شيئا (لحظة صمت) هذا ما أراه غاية فى الروعة ، الطريقـــة التى تجعل الأشياء يتهدج صوتهـــــا . وتخفض رأسها) ـ الأشياء ـ غاية فى الروعة ـ (تسود فترة طويلة من الصمت ، تخفض فيها رأسها ، وأخيرا تتجه نحو الحقيبة وهى لا تزال منحنية . وتخرج منها فضلات ونفايات لا يمكن التعرف عليها ، وتحشرها ثانية بعمق ، وأخيرا تخرج صندوق موسيقى ، تملأ زنبركاته ، وتدير مفتاحه ، وتصغى ندة لحظة حاملة اياه فى كلتا يديها . وهى مكومة فوقه ، وتعود فتتجه الى الأمام • تعتدل فى جلستها ، وتنصت الى اللحن، وهى تحمل الصندوق الى صدرها بكلتا يديها ، واللحن المنبعث من الصندوق هو لحن ـ والتز ديوت ـ أحبك حبا شديدا ـ من أوبرا الأرملة الطروب ، وشيئا فشيئا يغمرها تعبير من الســـعادة ، وهى

تتمايل على ايقـاع اللحن · تتوقف الموســـيقى ، وتسود لحظة صمت · ينفجر ويللى فيغنى بصوت أجش أغنية قصيرة بدون كلمات ، وهى نفسها اللحن المنبعث من الصندوق الموسيقى ، يزداد تعبيرها عن السعادة ، فتضع الصندوق على الأرض ، وتقول) أوه ، سيكون هذا اليوم يوما سعيدا ! (تصـــفق بيديها) آعد ، يا ويللى ، أعد ! (تصفق) آعد ! يا ويللى ، أرجوك ! (تسود لحظة صمت) ، ويختفى تعبير السعادة) ـ لا ؟ لا تريد أن تفعل ذلك من أجلى ؟ (تسود لحظة صمت) لا بأس ، فهذا شيء مفهوم جدا ، مفهوم جدا ، فالانسان لا يستطيع أن يغنى لمجرد ارضاء بعض الناس ، ومهما كان الانسان يحب هؤلاء الناس حبا شديداً ، لا ، فالأغنية لابد أن تنبعث من شغاف القلب ، وهذا ما أقوله دائما ، أن تفيض من الأعماق مثلها فى ذلك مثـــــل طائر الدج · (لحظة صمت) وما أكثر ما كنت أقول ، فى ساعات النحس والضيق ، غن الآن يا وينى ، غن أغنيتك ، فليس هناك وقت آخر تغنى فيه ، ولم أكن أغنى شيئا · (لحظة صمت) ولم أكن أستطيع أن أغنى شيئا · (لحظة صمت) لا ـ مثل طائر الدج ، أو طائر الفجر الذى لا يفكر فى أى فائدة ســـواء بالنسبة لنفسه أو بالنسبة لأى شـــخص آخر · (لحظة صمت) والآن ؟ (تسود فترة صمت طويلة ،

ثم بصوت خفيض) شعور غريب • (تسود لحظة صمت ، ثم تستطرد فتقول) ينتابنى شعور غريب بأن شخصا ما ينظر الى عندما أكون صافية المزاج ، ثم معتمة ثم ساهية ثم معتمة مرة ثانية ، وصافية مرة ثانية ، وهكذا الى الوراء والى الأمام ، الى الداخل والى الخارج ، من خلال يمين أحد الأشخاص (تسود لحظة صمت ، ثم تستطرد فتقـــول) غريب ؟ (صمت ، ثم تستطرد فتقول) لا ، فكل شيء هنـا غريب (تسود لحظة صمت ، وبنبرة صوت طبيعية) شيء ما يقول لى ، كفى الآن عن الكلام يا وينى لمدة دقيقة ، ولا تبددى كل ما عندك من الكلمات فى هذا اليوم ، كفى عن الكلام وافعلى شيئا ما بقصـــد التغيير ، هل فعلت ؟ (ترفع يديها وتبقيهما مفتوحتين أمام عينيها ، وبمناجاة خطابية) افعلى شيئا ما ! (تضم يديها) يالها من مخالب ! (تتجه نحـــو الحقيبة ، تفتش فيها ، وأخيرا تخرج منهـــا قلامة الأظافر ، تعود فتتجه الى الأمام وتبـــدأ فى تقليم الأظافر ، تقلم فى صمت فترة من الوقت ، ثم يتخلل تقليمها لأظافرها ما يلى) هناك يطفو ــ فوق سطح أفكارى ــ شخص ما يقال له مستر شاور ، شخص ما اسمه مستر شاور ، وربما مسز شاور ، لا ، انهما يمسكان بيدى بعضهما ، أغلب الظن اذن انهـــا خطيبته ، أو مجرد حبيبته • (تنظر الى أظافرها

بامعان) انها اليوم هشة جدا ، (تواصل التقليم)
شاور ـ شاور ـ ألا يعني الاسم شيئا ـ بالنسبة
لك يا ويللى ، ألا يستدعى أية حقيقة . أقصد بالنسبة
لك يا ويللى ، لا ترد ان كنت لا تشعر ، برغبة فى
ذلك ، لقد فعلت أكثر مما تحتمل طاقتك ـ حتى
الآن ـ شاور ، شاور · (تعاين الأظافر المقلمة)
أكثر مما تحتمل طاقتك · (ترفع رأسها ، وترنو
ببصرها الى الأمام) احتفظى برشاقتك يا وينى ،
هذا ما أقوله دائما ، ومهما حدث ، افعلى ما يمكن
أن يحافظ على رشاقتك · (تسود لحظة صمت ،
ثم تواصل التعليم) أجـــل ، شاور ، شاور ـ
(تكف عن التعليم ، وترفع رأسها · ترنو ببصرها
الى الأمام ، وتسود فترة صمت) ـ أو ، كوكر ،
فربما كان على أن أقول كوكر (تتجه قليلا نحـــو
ويللى) كوكر يا ويللى ، وهل يذكرك كوكر بشىء ؟
(تسود لحظة صمت ، ثم تتجه اليه أزيد قليلا ،
وبصوت أعلى) كوكر يا ويللى ، هل يذكرك كوكر
بشىء ، أقصد اسم كوكر ؟ (تسود لحظة صمت ،
ثم تتمطى خلفها لتطل عليه ، وتسود لحظة صمت)
أوه ، حقا ! (لحظة صمت) أليس معك منـــديل
يا عزيزى ؟ (لحظة صمت) ألست على شىء من
الرقة ؟ (لحظة صمت) أوه ، يا ويللى ، لا يصح
لك أن تأكله ! أبصقه يا عزيزى ، أبصقه ! (تسود

لحظة صمت ، ثم تعود فتتجه الى الأمام) آه لا بأس ، أظن أنه مجرد شيء طبيعي · (يتهدج صوتها) انساني · (تسود لحظة صـــــمت ، ثم تستطرد قائلة) ماذا ينبغي على « الانسان » أن يعمـــل ؟ (تخفض رأسها ، وتستطرد قائلة) طوال اليوم · (تسود لحظة صمت ، وتستطرد قائلة) ويوما بعد يوم · (تسود لحظة صمت ، ثم ترفع رأســـها ، تبتسم ، وتقول بصوت هادىء) الأسلوب القديم ! (تكف عن الابتسام ، وتواصل تقليم الأظافر) لا ، لقد قلمت هذا الظفر (تنتقل الى الظافر الذى يليه) كان ينبغى على أن ألبس النظارة (لحظة صمت) الوقت الآن متأخر جدا (تفرغ من يدهـا اليسرى وتعاينها) أكثر انسانية بقليل · (تبدأ فى اليد اليمنى ، وتعمل فى الفترة التالية ما عملته من قبل) لا بأس على أية حال ، فهذا المدعو شاور ، أو كوكر ، لا يهم والمرأة ، يدها فى يده ، وفى أيديهما الأخرى حقائب ، كأنها نوع من الحفر البنية الكبيرة ، قائمة هناك تحدق فى ، وأخيرا هذا الرجل المدعو شاور ، أو كوكر ، الذى ينتهى بحرف الراء ، على أية حال ، أراهن على ذلك بحياتى ، ماذا تراها تفعل ؟ انه يقول ، وماهى الفكرة ؟ يقول انهـــا مدفونة حتى ثدييها فى جوف الأرض الدامية ، انه انسان فظ ، ما معنى هذا الكلام ؟ هكذا يقول ، وما الذى يمكن

أن يعنيه ؟ وهلم جرا ، كمية كبيرة من هذا النوع ، اللفظ العادي ، انه يقول ، ترى هل تسمعينى ! وهي تقول ، اننى أسمعك ، كان الله فى عونى ، وهو يقول ما الذى تقصدينه ، كان الله فى عونك ؟ (تكف عن التقليم ، وترفع رأسها ، وترنو ببصرها الى الأمام) وهى تقول ، وأنت ، ما المقصود بك ، وما الذى يمكن أن تعنيه ؟ هل لأنك لازلت واقفا على قدميك المنطحتين ، تغنى أغنيتك القديمة ، المملوءة بالكلام عن الروث المعلب ، ومختلف الملابس التحتية ، تجرنى فى طول هذا القفر وعرضه ، أيها الانسان الفظ ، الزوج الصالح - (وبعنف مفاجىء) أطلق سراح يدى ، اتركها بحق الله ، هى تقول ٠٠ اتركها ٠ (تسود لحظة صمت ، ثم تواصل التعليم) وهو يقول ٠٠ ترى لماذا لا يخرجها من الحفرة ؟ وهو يشير اليك يا عزيزى ، كيف يمكن أن تفيده ، وهى على هذا النحو ؟ وكيف يمكن أن يكون هو نافعا لها ، على هذا النحو ؟ وهلم جرا ، ثرثرة كالمعتاد ، يا الهى ! وهى تقول ٠٠ ارحمنى لوجه الله ، وهو يقول ٠٠ اخرجها من الحفرة ، أخرجها من الحفرة فلا معنى لها وهى على هذا النحو ، وهى تقول ٠٠ أنقب عنها بماذا ؟ لو كنت مكانه ، لنقبت حولها بيدى العاريتين ، لابد أنهما كانا ، زوج وزوجة ، (تقلم فى صمت) والذى يلى ذلك هو

انهما يرحلان بعيدا ·· ايديهما فى أيدى بعض . والحقائب ، وتعتم الدنيا ، ثم يختفى ، آخر النوع البشرى ، لكى يهيم فى هذا الطريق · (تفرغ من تقليم يدها اليمنى ، تعاينها ثم تضع قلامة الأظافر على الأرض ، وترنو ببصرها الى الامام) فى مثل هذا الوقت . يطرأ على ذهنى شىء غريب · (لحظة صمت) غريب ؟ (لحظة صمت) لا ، كل شىء هنا غريب · (لحظة صمت) أنا شاكرة على أية حال · (يضعف صوتها) شاكرة جداً · (تخفض رأسها ، وتسود لحظة صمت · ترفع رأسها ، وتقول بصوت هادىء) أخفض رأسي وأرفعها ، أخفضها وأرفعها ، وهكذا باستمرار · (تسود لحظة صمت) والآن ؟ (تسود فترة طويلة من الصمت ، ثم تبدأ فى اعادة الأشياء الى الحقيبة ، وأخيرا تعيد فرشاة الأسنان ، ولا يقطع هذه العملية سوى لحظات صمت كالتى سبق الاشارة اليها ، تتخلل ما يلى) ربما لم يحن الوقت ، لكى أعد نفسى ، لحلول الليل ـ (تكف عن ترتيب الأشياء ، ثم ترفع رأسها وتبتسم) ـ الأسلوب القديم ! ـ (تكف عن الابتسام ، وتواصل الترتيب) ومع ذلك فاننى ، أعد نفسى لحلول الليل ، وعندما أشعر باقترابه ، ويدق الجرس ايذانا بالنوم ، أقول لنفسى ، وينى ، لن يطـــول بك الوقت الآن يا وينى ، حتى يدق الجرس ايذانا بالنوم · (تكف

عن الترتيب ، وترفع رأسها) أحيانا أكون مخططة
(تبتسم) ولكنى لا أكون مخططة فى أغلب الأحيان
ـ (تكف عن الابتسام) أحيـــانا ينتهى كل شيء
بالنسبة لى بالنهار ، يعمل كل شيء ، ويقال كل
شيء ، ويكون كل شيء على أتم استعداد لحلول الليل
ولكن النهار لا ينتهى ، ويكون أبعد من أن ينتهى ،
ولا يحل الليل ، ويكون أبعد ، أبعد من أن يحل ٠
(تبتسم) ولكن ليس فى أغلب الأحيان ٠ (تكف
عن الابتسام) أجل ، يدق الجرس ايذانا بالنوم ،
عندما أشعر باقترابه ، وعلى ذلك أعد نفسى لحلول
الليل ـ تتحرك حركة فيها ايماءة) ـ على هـــذا
النحو ، أحيانا أكون مخططة ـ (تبتسم) ولـــكنى
لا أكون مخططة فى أغلب الأحيـــان ٠ (تكف عن
الابتسام ، وتواصل ترتيب الأشياء) جرت العـادة
أن أفكر ، أقول ان العادة جرت أن أفكر ، فى أن
كل هذه الأشياء ، التى أعيدها الى الحقيبة ، لو أننى
أعدتها الى الحقيبة بأسرع ما يمكن ، لو أننى أعدتها
بأسرع ما يمكن ، الا أننى يمكننى اخراجها مرة
ثانية ، اذا لزم الأمر ، واذا احتاج الأمر ، وهلم جرا
٠٠٠ الى مالا نهاية ـ أعيد ادخالها الى الحقيبة ،
وأعيد اخراجها من الحقيبة ، الى أن يدق الجرس ـ
(تكف عن ترتيب الأشـــياء ، ثم ترفع رأسها ،
وتبتسم) ولكن ـ لا ـ (وبابتسامة أوسع) ـ لا ـ

لا ـ (تكف عن الابتسام . وتواصل الترتيب) أظن
أن هذا ، قد يبدو غريبا ، هذا ما تراني سأقول ،
هذا الذى قلته ، أجل ـ (ترفع المسدس) غريب ،
(تستدير لتضع المسدس فى الحقيبة) لو لم تكن
الحقيبة ! (وبينما توشك على وضع المسدس فى
الحقيبة . تمسك عن الحركة ، وترنو ببصرها الى
الأمام) ـ لو لم تكن الحقيبة ! (تضع المسدس الى
يمينها على الأرض ، ثم تكف عن ترتيب الأشياء ،
وترفع رأسها) ـ الأشياء كلها تبدو غريبة ـ (لحظة
صمت) أكثر غرابة (لحظة صمت) بلا أى تغيير
على الاطلاق . (لحظة صمت) والأشياء تزداد غرابة
فوق غرابة (تسود لحظة صمت ، ثم تعود فتنحنى
فوق الربوة ، وتأخذ آخر ما تبقى من الأشياء ..
مثل فرشاة الأسنان ، وتستدير لتضعها فى الحقيبة
عندما يجذب انتباهها اضطراب يأتى من ناحيـــة
ويلى ، تتمطى خلفها والى اليمين لترى ما حـــدث ،
ثم تسود لحظة صـــمت) هل ضـــقت بجحرك
يا عزيزى ؟ (لحظة صمت) ـ لا بأس ، فأنا أستطيع
أن أفهم ذلك ـ (لحظة صمت) لا تنسى نصيبك
من القش ـ (لحظة صمت) لم تعد الانسان الزاحف
يا حبيبى المسكين ـ (صمت) لا ـ لم تعد الزاحف
الذى وهبته قلبى . (لحظة صمت) اليدان والركبتان
يا حبيبى ـ حاول أن تستخدم اليدين والركبتين

(لحظة صمت) الركبتان ! الركبتان ! (لحظة صمت) يالها من لعنة ، القدرة على الحركه ! (تتابع بعينيها تحركه نحوها وراء الربوة ، أو بالأحرى نحو المكان الذى كان يشغله فى بداية الفصل) ـ خطوة واحدة أخرى يا ويللى ، وتصبح فى بيتك . (تسود فترة صمت ، بينما تراقب الخطوة الأخيرة) آه ! (تعود فتتجه الى الأمام بصعوبة بالغة ، ثم تحك رقبتها) التقلص الذى فى رقبتى بسبب اعجابى بك (تحك رقبتها) ولكن الأمر يستحق ، نعم .. يستحق هذا تماما ـ (تتجه نحوه قليلا) هل تعرف بماذا أحلم أحيانا ؟ (لحظة صمت) بماذا أحلم أحيانا يا ويللى ! (لحظة صـــمت) فأنك ستفيق من غيبوبتك ، وتعيش فى هذه الناحية ، حيث يمكننى أن أراك ! (تسود لحظة صمت) ، ثم تعود فتتجه الى الأمام) وبأننى سأكون امرأة أخرى (لحظة صمت) امرأة لا يمكن التعرف عليها (تتجه نحوه قليلا) أو أنك من حين لآخر ، سوف تأتى من هذه الناحية ، من حين لآخر ، وتتركنى أسعد برؤيتك (تعود فتتجه الى الأمام) ولكنك لا تستطيع ، هذا ما أعرفه (تخفض رأسها) هذا ما أعرفه (تسود لحظة صمت ، ثم ترفع رأسها) ولا بأس ، على أيـــة حـــال ـ (تنظـــر الى الفرشـــاة) حتى يدق الجرس (تظهر مرة أخرى

رأس ويللى من فوق المنحدر ، بينما تنظر وينى الى الفرشاة بامعان) ـ مضمون كل الضمان ـ (ترفع رأسها) ما هذا الذى حدث ؟ (تظهر يد ويللى وبها منديل ، تنشره فوق رأسه ، ثم تختفى) أصلى ٠٠ نقى ٠٠٠ مضمون كل الضمان (تظهر يد ويللى وبهـــا قبعة ، تثبتها فوق رأســه بزاوية مائلة ثم تختفى) ٠٠ أصلى ٠٠ نقى ٠٠ آه ! وبر الحلوف ! (تسود لحظة صمت) ما هو الحلوف بالضبط ؟ (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه نحو ويللى باستخفاف) ما هو بالضبط ، الحلوف يا ويللى ، هل تعرف ؟ أنا لا أستطيع أن أتذكر (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه اليه أزيد قليلا ، وبنوع من الرجاء) ما «هو» الحلوف يا ويللى ، أرجوك ! (تسود لحظة صمت)

ويللى : ذكر الخنزير المخصى (يبدو على وجه وينى تعبير عن السعادة) ـ الذى يجهزونه للمذبحة (يتزايد تعبير السعادة ، يفتح ويللى الصحيفة بحيث لا ترى يداه ، وتظهر سطوح صفحات صفراء على كلا جانبى رأسه ٠ ترنو وينى ببصرها الى الأمام ، وعلى وجهها تعبـــير السعادة) ٠

وينى : أوه ، ان هذا اليوم ليوم سعيد ! سيكون هذا اليوم يوما سعيدا ـ مضى وانتهى (تسود لحظة صمت) فى النهاية (تسود لحظة صمت) متى هذه اللحظة !

(تسود لحظة صمت ، ويختفي تعبير السعادة ، يقلب ويلى الصحيفة ، وتسود لحظة صمت ، يقلب صفحة أخرى ، وتسود لحظة صمت)

ويلى : كان مقبلا على شباب نشيط (تسود لحظة صمت ، ثم تخلع وينى القبعة وتستدير لتضعها فى الحقيبة ، تمسك عن الحركة . وتعود فتتجه الى الأمام ، ثم تبتسم) ·

وينى : لا ـ (وبابتسامة أوسع) لا ، لا ـ ؛ تكف عن الابتسام ، وتعود فتلبس القبعة ، ترنو ببصرها الى الأمام ، وتسود لحظة صمت) والآن ؟ (لحظة صمت) غنى (لحظة صمت) غنى أغنيتك ، يا وينى (لحظة صمت) لا ؟ (لحظة صمت) اذن ·· صلى (لحظة صمت) صلى صلاتك يا وينى ·

(تسود لحظة صمت ، ثم يقلب ويلى الصحيفة . وتسود لحظة صمت)

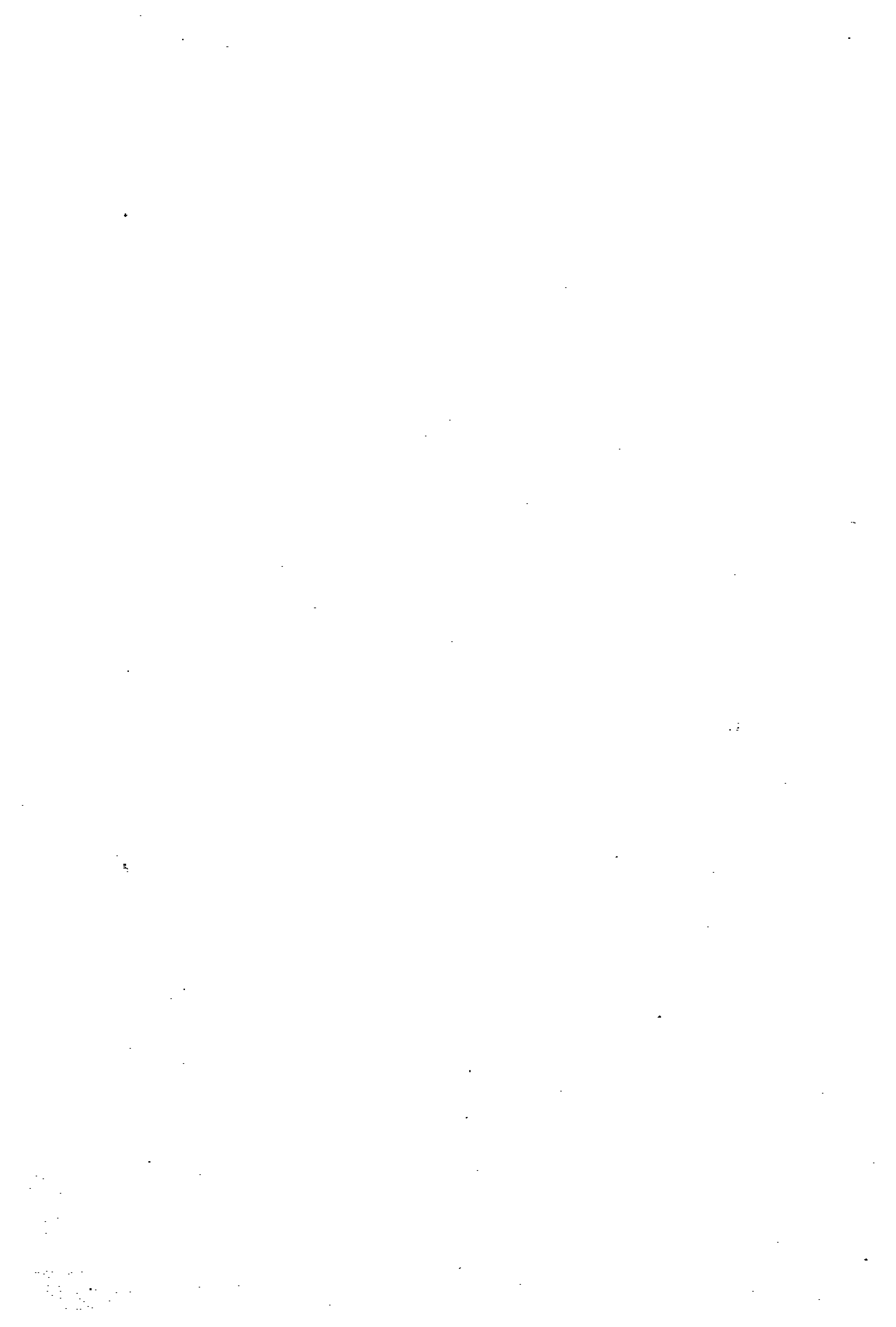
ويلى : مطلوب غلام ذكى

(تسود لحظة صمت ، ترنو وينى ببصرها الى الأمام ، ويقلب ويلى الصحيفة ، ثم تسود لحظة صمت ، تختفى الصحيفة ، وتسود فترة صمت طويلة) ·

وينى : صلى صلاتك القديمة ، يا وينى ·

(فترة صمت طويلة ····

يسدل الستار



● الفصل الثانى

المنظر هو نفسه المنظر السابق .

وينى مدفونة الى رقبتها ، قبعتها فوق راسها ، وعيناها مغمضتان ، اما راسها الذى لم يعد فى امكانها أن تديره او تثنيه او ترفعه ، فيرى شاخصا الى الأمام دون ان يبدى حراكا طوال الفصل ، وأما حركات عينيها فهى كما هو مبين . الحقيبة والشمسية كما كانتا عليه من قبل ، ويرى المسدس بوضوح وهو الى يمينها فوق الربوة .

تسود فترة صمت طويلة .

يرن الجرس بصوت عال ، فتفتح عينيها على الفور ، يتوقف الجرس عن الرنين ، فترنو ببصرها الى الأمام ، وتسود فترة طويلة من الصمت .

وينى : سلاما أيها النور المقدس (تسود فترة صمت طويلة ، ثم تغمض عينيها ، يرن الجرس بصوت

عال ، تفتح عينها على الفور ، يتوقف الجرس عن الرنين ، فترنو ببصرها الى الأمام ، تعـــلو وجهها ابتسامة لفترة طويلة ، ثم تكف عن الابتســـام ، وتسود فترة طويلة من الصمت) شخص ما لايزال ينظر الى (لحظة صمت) ولايزال يهتم بأمرى (لحظة صمت) وهذا ما أراه غـــاية فى الروعة (لحظة صمت) عندما تقع عيناه على عينى . (لحظة صمت) ما هذا الخط الذى لا يمكن نسيانه ؟ (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه بعينيها ناحيـــة اليمين) ويللى (تسود لحظة صمت ، ثم بصوت أعلى) ويللى (تسود لحظة صمت ، ثم ترنو ببصرها الى الأمام) هل يظل الانسان يتكلم عن الزمن ؟ (لحظة صمت) مضى وقت طويل يا ويللى ، منذ أن رأيتك حتى الآن ، (لحظة صمت) ومنذ أن سمعت صوتك (لحظة صمت) ترى هل يستطيع الانسان ؟ (لحظة صمت) ترى هل يستطيع الانسان أن يفعل ؟ (تبتسم) الأسلوب القديم ! (تكف عن الابتسام) ليس هناك سوى القليل الذى يستطيع الانسان أن يتكلم عنـــه . (لحظة صمت) والانسان يتكلم عنه كله (صمت) يقول كل ما يستطيعه . (لحظة صمت) كنت أظن ... (لحظة صمت) أقول اننى كنت أظن أنه لابد لى أن أتعلم لكى أتكلم بمفردى (لحظة صمت) أقصد بذلك أن أكلم نفسى ، هذا القفر (تبتسم) ولكن ..

لا ٠٠ (وبابتسامة أوسع) لا ٠٠ لا ٠٠ (تكف عن الابتسام) ومن أجل ذلك ، أنت موجود هناك ٠ (لحظة صمت) أوه ، لا شك أنك ميت مثل الآخرين ، ولا شك أنك قد فارقت الحياة ، أو أنك قد أعرضت عني ، وتركتني مثل الآخرين ، ولكن ، هذا لا يهم ، فأنت موجود هناك ٠ (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه بعينها ناحية اليسار) ٠ والحقيبة هي الأخرى موجودة هناك ، تماما كما كانت في كل وقت ، فانني أستطيع أن أراها ٠ (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه بعينيها ناحية اليمين ، وبصوت أعلى) الحقيبة موجودة هناك ٠٠ يا ويلي ٠٠ وديعة كما كانت في كل وقت ، الحقيبة التي أعطيتني اياها في ذلك اليوم ٠٠ لكي أذهب بها الى السوق ٠ (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه بعينيها الى الأمام) في ذلك اليوم ٠ (لحظة صمت) أي يوم ؟ (لحظة صمت) كنت أصلي ٠ (لحظة صمت) أقول انني كنت أصلي ٠ (لحظة صمت) نعم ، يجب على أن أعترف بأنني كنت أصلي (تبتسم) ولكنني لا أصلي الآن ٠ (وبابتسامة أوسع) لا ٠ ٠لا (تكف عن الابتسام ، وتسود لحظة صمت) اذن ٠٠ الآن ٠٠ ما هي الصعوبات القائمة هنا ، أمام العقل ! (لحظة صمت) ان ظللت دائما على ما أنا عليه ، ومختلفة تماما عمـــــا كنت عليه ٠ (لحظة صمت) فأنا هذه الشخصية ، أقول انني

هذه الشخصية ، ثم تلك الشخصية · (لحظة صمت)
أنا هذه ، ثم تلك (لحظة صمت) هناك القليل الذى
يستطيع الانسان أن يتكلم عنه ، والانسان يقوله
كله (لحظة صمت) يقول ما يستطيع أن يقوله
(لحظة صمت) وهو ليس حقيقيا فى أى جزء منه ·
(لحظة صمت) ذراعاى (لحظة صمت) ثدياى (لحظة
صمت) أى ذراعين ؟ (لحظة صمت) وأى ثديين ؟
(لحظة صمت) ويللى (لحظة صمت) أى ويللى ؟
(وبتأكيد قوى مفاجىء) عزيزى ويللى ! (تتجـــه
بعينيها ناحية اليمين ، وتنادى) ويللى ! تسود لحظة
صمت ، وبصوت أعلى) ويللى ! (تسود لحظة صمت ،
ثم تتجه بعينيها الى الأمام) آه ، حسن ، فليس
لى أن أعرف . ليس لى أن أعرف بالتأكيـــد كل
ما أطلبه ، ياللرحمة الواسعة (لحظة صمت) آه ،
طيب ·· ثم ·· الآن ·· خشب الزان الأخضر ··
هذا ·· شارلى يقبل ·· كل هذا الارهاق الذهنى
الشديد (لحظة صمت) ولكنه لا يرهق ذهنى ·
(تبتسم) ليس الآن ! (وبابتسامة أوسع) لا ··
لا ·· (تكف عن الابتسام ، وتسود فترة طويلة من
الصمت) ويللى (لحظة صمت) هل تظن يا ويللى أن
الأرض فقدت غلافها الجوى ؟ (لحظة صـــمت) هل
تظن ذلك يا ويللى ؟ (لحظة صمت) أليس لك رأى ؟
(لحظة صمت) لا بأس ، فهذا هو أنت ، لم يكن لك

أبدا رأى فى أى شىء ‥ (لحظة صمت) وهذا شىء مفهوم ٠ (لحظة صمت) أشد الفهم ٠ (لحظة صمت) الكرة الأرضية (لحظة صمت) انى لأتعجب فى بعض الاحيان ٠ (لحظة صمت) ولعلى لا أتعجب كل العجب (لحظة صمت) فهناك باستمرار شىء ما يتبقى ٠ (لحظة صمت) شىء ما يتبقى من كل شىء ٠ (لحظة صمت) بعض الشىء يتبقى (لحظة صمت) لو أن العقل يذهب ٠ (لحظة صمت) ! ولكنه لا يذهب بطبيعة الحال ٠ (لحظة صمت) لا يذهب تماما ٠ (لحظة صمت) وليس عقلى هو الذى يذهب (تبتسم) ليس الآن (وبابتسامة أوسع) لا ‥ لا ‥ (تكف عن الابتسام ، وتسود لحظة صمت) لابد أنها البرودة الدائمة (لحظة صمت) البرودة الأبدية المدمرة ٠ (لحظة صمت) مجرد صدفة ، وفى رأيى أنها صدفة سعيدة (لحظة صمت) أوه ، نعم ، هذه رحمات واسعة ، رحمات واسعة (لحظة صمت) والآن ؟ (فترة صمت طويلة) الوجه (لحظة صمت) والأنف (تنظر بحول الى أسفل) فى استطاعتى أن أراه ‥ (وهى تنظر بحول الى أسفل) ‥ الطرف ، المنخران نفس الحياة ‥ هذه الاستدارة التى كنت تعجب بها ‥٠ (تمط شفتيها) ايماءة بالشفة (تمط شفتيها مرة ثانية) ‥ اذا مطتها طلبا لقبلة ‥ (تخرج لسانها) ‥ واللسان لطبيعه الحال ‥ الذى كنت

تقدره كل التقدير لو أنني أبرزه الى الخارج (تخرج لسانها مرة ثانية) .. والطرف .. (ترفع عينيها الى أعلى) .. والشك الذى يتبدى على جبهتى ... وحاجبى .. وربما فى خيالى .. (تتجه بعينيها ناحية اليسار) .. والوجنة .. لا .. (تتجه بعينيهـــا ناحية اليمين) .. لا .. (تبرز وجنتيها) حتى عندما كنت أنفخ الوجنتين الى الخارج .. (تتجه بعينيها ناحية اليسار ، وتبرز خديها مرة ثانية) .. لا .. لا ، ليستا كالحرير الدمشقى . (تتجه بعينيها الى الأمام) هذا كل ما فى الأمر ! تسود لحظة صمت) الحقيبة بطبيعة الحال .. (تتجه بعينيها ناحيـــة اليســـــار) ربما كانت غشـــية بســيطة ولـــكن الحقيبة (تتجه بعينيهـــا الى الأمام ، وبسرعة) الأرض والسماء بطبيعة الحال . (تتجه بعينيها ناحية اليمين) والشمسية التى أهديتها لى ، فى ذلك اليوم . .(لحظة صمت) .. فى ذلك اليوم .. البحيرة .. والبوص (تتجه بعينيها الى الأمام ، وتسود لحظة صمت) أى يوم ؟ (لحظة صمت) وأى بوص ؟ (تسود فترة صـــمت طويلة ، ثم تغمض عينيها . يرن الجرس بصوت عال ، فتفتح عينيها ، تسود لحظة صمت ، ثم تتجه بعينيها ناحية اليمين) براونى بالطبع (صمت) براونى موجود هنـــاك يا ويللى ، فى استطاعتي أن أراه (لحظة صمت)

براونى موجود هناك يا ويللى ، موجود بالقرب منى •
(تسود لحظة صمت ، وبعدها تقول بصوت عال)
براونى موجود هناك يا ويللى (تسود لحظة صمت ،
تتجه بعينيها الى الأمام) هذا كل ما فى الأمـــر •
(تسود لحظة صمت) ما الذى أستطيع أن أعمله ؟
بدونها ؟ (تسود لحظة صمت) ما الذى أستطيع
أن اعمله بدونهـــا ، عندما تضيع منى الكلمات ؟!
(تسود لحظة صمت) أحدق فيما هو أمامى ، وشفتاى
مضمومتان • (تسود لحظة صمت ، بينما تفعـــل
هذا) لا أستطيع (لحظة صمت) آه . طيب ، رحمات
واسعة ، رحمات واسعة) تسود فترة صمت طويلة ،
وبعدها تقول بصوت خفيض) اننى لا أسمع أصواتا
فى بعض الأحيان • (يعلوها تعبير الانصـــات ، ثم
تقول بنبرة صوت طبيعية) ولكن ليس فى كل الأحيان
(لحظة صمت) انها نعمة ، الأصوات نعمة ، فهى
تعيننى أثناء النهار • (تبتسم) الأسلوب القديم !
(تكف عن الابتسام) نعم ، انها أيام سعيدة تلك
التى توجد فيها الأصوات • (لحظة صمت) تلك التى
أسمع فيها الأصوات • (لحظة صمت) كنت أظن ••
(لحظة صمت) ••• أقول اننى كنت أظن أنها كانت
موجـــودة فى رأسى • (تبتسم) ولكن ، لا ••
(وبابتسامة أوسع) لا •• لا (تكف عن الابتسام)
كان مجرد كلام منطقى (لحظة صمت) كلام معقول •

(لحظة صمت) فأنا لم أفقد صوابى (لحظة صمت) لم أفقده بعد . (لحظة صمت) لم أفقده كله . (لحظة صمت) ما زال هنـــاك بعضه . (لحظة صمت) ، الأصوات (لحظة صمت) مثل نتف .. صغيرة ، مثل مساقط مياه صغيرة .. مقفرتة . (تسود لحظة صمت ، وبعدها تقول بصوت خفيض) انها أشياء يا ويللى ! (تسود لحظة صمت ، وبعدها تقول نبرة صوت طبيعية) فى الحقيبة ، وخـــارج الحقيبة . (لحظة صمت) آه ، نعم ، ان الأشياء لها حياتها ، وهذا ما أقوله دائما ، الأشياء فيها نوع من الحياة (لحظة صـــمت) تمد نظارتى ، فهى ليست فى حاجة الى (لحظة صمت) الجرس (صمت) انه يجرح كأنه السكين . (لحظة صمت) أو .. الازميل . (لحظة صمت) وليس فى مقـــدور الانسان أن يتجاهله . (لحظة صمت) وكم من أشياء كثيرة .. (لحظة صمت) أقول ، كم من أحيان كثيرة قلت فيها، تجاهلى الجرس يا وينى ، تجاهلى الجرس ولا تعطيه أى اهتمام واكتفى بأن تنامى وتستيقظى ، نامى واستيقظى كما تحبين ، وافتحى عينيك واغمضيهما كما تحبين أو بالطريقة التى تجدين انهـــا تريحك أكثر من غيرها (لحظة صمت) افتحى عينيـــك واغمضيهما يا وينى ، افتحيهما واغمضيهما ، هكذا باستمرار . (لحظة صمت) ولكن .. لا . (تبتسم)

ليس الآن . (وبابتسامة أوسع) لا .. لا . (تكف عن الابتسام ، وتسود لحظة صمت) وماذا الآن ؟ فترة طويلة من الصمت) هنـاك قصتي بطبيعة الحال ، عندما يعجز كل شيء آخر . (لحظة صمت) انها حياة . (تبتسم) حيـاة طويلة (تكف عن الابتسام) تبدأ من الرحم حيث اعتادت الحياة أن تبدأ . ان « ميلدرد » لها ذكريات ، وسيكون لها ذكريات عن الرحم ، رحم الأم ، سيكون لها ذكريات قبل أن تموت وتفارق رحم الأم (لحظة صمت) انها الآن فى حوالى الرابعة أو الخامسة من العمر ، وقد أعطيت قريبا دمية من الشمع . (تسود لحظة صمت) ترتدى كامل ملابسـهـا وتحمل كافة لوازمها . (تسود لحظة صمت) الأحذية ، والجوارب ، والجهاز الكامل ، والثوب ذا الأحداب ، والقفازات . (تسود لحظة صمت) وشبكة بيضاء .. (تسود لحظة صمت) وقبعة بيضاء صغيرة من القش ، لها شريط مطاطى يوضع تحت الذقن . (صمت) وعقد من اللؤلؤ . (تسود لحظة صمت) وكتاب صغير مصـور ، به أساطير بالصور المطبوعة ، لكي تضعه تحت ذراعها عندما تقوم بنزهتها سيرا على الأقدام . (تسود لحظة صمت) وعينـان زرقاوان من الصيني ، تفتحان وتغمضان (تسود لحظة صمت ، ثم تحكى قائلة) لم تكن الشمس قد ارتفعت تماما ، عنـدما قامت

ميللى ، ونزلت المنحدر (لحظة صمت) .. وارتدت قميص نومها ، نزلت بمفردها كل السلم الخشبي المنحدر . وتراجعت الى الوراء على كل أطرافها الأربعة ، مع انها منعت من عمل هذا . حتى دخلت الى .. (لحظة صمت) .. مشت على أطراف أصابعها داخل الممر الهادىء الذى يخيم عليه السكون . ثم دخلت غرفة الأطفال وبدأت فى تعرية الدمية (لحظة صمت) تسللت تحت المائدة ، وبدأت فى تعرية الدمية . (لحظة صمت) ثم فى نهرها وتوبيخها .. أثناء ذلك . (لحظة صمت) وفجأة ، ظهر فأر .. (فترة صمت طويلة) برفق ، يا وينى . (تسود فترة صمت طويلة . ثم تنادى) ويللى ! (لحظة صمت ، ثم بصوت أعلى) ويللى ! (لحظة صمت ، ثم بتوبيخ خفيف) أحيانا أرى أن سلوكك يا ويللى غريب بعض الشيء . فلم يكن يليق بك طوال هذا الوقت ، مثل هذا السلوك العابث القاسى . (لحظة صمت) غريب ؟ (لحظة صمت) لا . (تبتسم) ليس هنا (وبابتسامة أوسع) وليس الآن (تكف عن الابتسام) ومع ذلك .. (وبضيق مفاجىء) أرجو ألا يكون هناك خطأ فى شيء من الأشياء . (تتجه بعينيها ناحية اليمين ، وبصوت عال) كل شيء على ما يرام ، يا عزيزى ؟ (تسود لحظة صمت ، ثم تتجه بعينيها الى الأمام ، وتخاطب نفسها

قاتلة) اننى أضرع الى الله ألا يكون قد دخل برأسه أولا ! (تتجه بعينيها ناحية اليمين ، وبصوت عال) أنت لم تنحشر ، يا ويللى ؟ (تتجه بعينيها الى الأمام ، وبضيق وضجر) ربما كان يصرخ فى طلب المساعدة طول هذا الوقت ، دون أن أسمعه ! قبل (لحظة صمت) اننى أسمع صرخات بطبيعة الحال (لحظة صمت) ولكنها فى رأسى بالتأكيد . (لحظة صمت) هل من الممكن أن .. (تسود لحظة صمت ، ثم بلهجة حاسمة) لا .. لا ، لقد كان رأسى باستمار مملوءا بالصرخات (لحظة صمت) صرخات ضعيفة مختلطة . (لحظة صمت) تجىء .. (لحظة صمت) .. وتروح (لحظة صمت) كأنها على جناح الريح . (لحظة صمت) وهذا ما أراه فى غاية الروعة . (لحظة صمت) انها تتلاشى . (لحظة صمت) آه ، نعم ، رحمات واسعة ، وحمات واسعة . (لحظة صمت) لقد تقدم النهار .. الآن . (تبتسم ، ثم تكف عن الابتسام) ربما لم يحن الوقت بعد لكى أغنى أغنيتى (لحظة صمت) فأنا أرى دائما أن التبكير بالغناء شىء قاتل . (لحظة صمت) ومن ناحية أخرى ، يمكننى أن أترك الغناء يتأخر كثيرا . (لحظة صمت) الجرس يدق ايذانا بالنوم ، ولما يصدح الانسان بالغناء . (لحظة صمت) لقد ولى النهار كله وانقضى . (تبتسم ، ثم تكف عن الابتسام)

ولى وانقضى ، ولى تماما وانقضى ، دون أن تكون هناك أغنية من أى نوع ، أو من أى صنف ٠ (لحظة صمت) وهنا تنشأ مشكلة (لحظة صمت) هى أن الانسان لا يستطيع أن يغنى ٠٠ بهذه السهولة ، لا (لحظة صمت) فالغناء يتدفق لسبب مجهول ، وربما فى وقت غير ملائم ، فيمعنه الانسان (صمت) ويقول الآن هو وقت الغناء ، اما أن يكون الآن ، أو لن يكون أبدا ، ولكن الانسان لا يستطيع أن يغنى (لحظة صمت) ببساطة لا يســـتطيع أن يغنى ٠ (لحظة صمت) ولا نغمة واحـــدة (لحظة صمت) وشىء آخر ٠٠ يا ويلى ، طالما أننا لازلنا فى هذا الموضوع (لحظة صمت) الحزن الذى يعقب الأغنية ٠ (لحظة صمت) هل جربت هذا يا ويلى ؟ (لحظة صمت) الحزن الذى يعقب الجماع العاطفى ، والذى يألفه الانسان بالطبع (تسود لحظة صمت) أظنك تتفق مع أرسطو فى ذلك ، يا ويلى (لحظة صمت) نعم ، فهذا ما يعرفه الانسان ، وهو على استعداد لمواجهة أى شىء ٠ (لحظة صمت) ولكنك بعد الأغنية ٠٠ (لحظة صمت) لا يستمر طويلا بالطبع ٠ (لحظة صمت) وهذا ما أراه فى غاية الروعة (لحظة صمت) اذهب وانسنى ، فلماذا يلقى شىء بظله على شىء آخر ٠ (لحظة صمت) اذهب وانسنى ، فلماذا تتألق ابتسامة الحزن والابتسامة الوضاءة ٠٠ اذهب وانسنى

.. ولا تستمع الى أبدا وأنا أبتسم بعذوبة ، وأغنى بصفاء .. (تسود لحظة صمت ، ثم بتنهيــــدة) الانسان يفقد مأثوراته الكلاسيكية (لحظة صمت) أوه ، ليس كلها . (لحظة صمت) جزء (صمت) هناك جزء يبقى . (لحظة صمت) وهذا ما أراه فى غاية الروعة ، البعض يتبقى من مأثورات الانسان الكلاسيكية ، لكى يساعده أثناء النهـــار (لحظة صمت) أوه ، نعم ، رحمات واسعة ، رحمات واسعة (لحظة صمت) والآن ؟ (لحظة صـــمت) والآن ، يا ويللى ؟ (تسود فترة صمت طويلة) اننى أرى بعين خيالى .. مستر شاور ـ أو كوكر (تغمض عينيها ، ويدق الجرس بصوت عال ، تفتح عينيها ، وتسود لحظة صمت) يدها فى يده ، وفى يديهما الأخريين حقائب (تسود لحظة صمت) يسيران معا ... فى ركب الحياة . (تسود لحظة صمت) فهما لم يعودا صغيرين ، ولم يصبحا بعد عجوزين . (لحظة صمت) وهما واقفان هناك يحدقان (لحظة صمت) لم يكن صدرها سيئا وهو فى شبابه . هكذا يقول (لحظة صمت) لقد رأيت أكتافا أسوأ من أكتافها فى شبابى ، هكذا يقول . (لحظة صمت) هل تراها تشعر بساقيها ؟ هكذا يقول (لحظة صمت) هل هناك فى ساقيها أى نوع من الحياة ؟ هكذا يقــول (لحظة صمت) هل ترتدى شـــيئا تحت ملابسها ؟

هكذا يقول • (لحظة صمت) اسأليها ، فأنا أشعر بالخجل ، هكذا يقول • (لحظة صمت) أسألها عن ماذا ؟ هكذا تقول • (لحظة صمت) عما اذا كانت هناك في ساقيها أية حياة • (تسود لحظة صمت) وعما اذا كانت ترتدي شيئا تحت ملابسها • (تسود لحظة صمت) اسألها أنت بنفسك ، هكذا تقول (تسود لحظة صمت ، ثم تقول بعنف مفاجيء) اطلق سراحي بحق المسيح ، وتسقط أنت ! (تسود لحظة صمت ، ثم تستطرد قائلة) لتسقط ميتا ! (تبتسم) ولكن •• لا • (وبابتسامة أوسع) لا •• لا •• (وتكف عن الابتسام) اني أراهما يتراجعان (لحظة صمت) يدها في يده ــ والحقائب (لحظة صمت) ويحل الظلام (لحظة صمت) ثم يختفيان (لحظة صمت) آخر النوع البشرى ــ الذى يهيم فى هذا الطريق • (لحظة صمت) الذى يتمشى مع الحياة العصرية (لحظة صمت) والآن ؟ (تسود لحظة صمت ، ثم تقول بصوت خفيض) النجدة • (تسود لحظة صمت ، ثم تستطرد قائلة) النجدة ، يا ويلى • (تسود لحظة صمت ، ثم تستطرد قائلة) لا ؟ (تسود فترة صمت طويلة ، ثم تحكى قائلة) وفجأة ظهر فأر (لحظة صمت) وجرى فوق فخذها ، واذا بميلدرد التى سقطت منها الدمية ، وهى فى همس الخوف

والفزع ، تأخذ فى الصراخ ‥ (تصدر عن وينى صرخة مدوية على حين فجأة) ـ وأخذت تصرخ ‥ وتصرخ ـ (تصرخ وينى مرتين) ـ تصرخ وتصرخ وتصرخ وتصرخ حتى جاءوا جميعا يهرعون وهم فى ملابس النوم ‥ بابا وماما وبيبى و ... العجوزة آنى ... جاءوا جميعا يهرعون ليروا ماذا حدث ‥ (تسود لحظة صـــــمت) ‥ وماذا كان يمكن أن يحدث ‥ (تسود لحظة صمت) ولكن بعد فوات الأوان (لحظة صمت) بعـــد فوات الأوان (فترة صمت طويلة ، ثم بصوت يكاد يسمع) ويللى . (تسود لحظة صمت ، ثم بنبرة طبيعيـــــة) آه ، لا بأس ، فلن يطول الوقت الآن ، يا وينى . لايمكن أن يطـــول الوقت الآن ، حتى يرن الجرس ايذانا بالنوم . (لحظة صمت) وعندئذ يمكنك أن تغمض عينيك ، عندئذ « لابد » أن تغمض عينيك ـ وأن تبقى عليهما مغمضتين . (تسود لحظة صمت) لماذا أقول ذلك مرة ثانية ؟ (تسود لحظة صمت) كنت أظن ـ (لحظة صمت) أقول ، اننى كنت أظن ، أنه ليس هناك فارق كبير بين الكسر الواحد من الثانية ، والكسر الآخر الذى يليه ‥ (لحظة صمت) كنت أقول ‥ (لحظة صمت) أقول اننى كنت أقول ، انك يا وينى لن تتغيرى أبدا ، فليس هناك أى فارق على الاطلاق بين الكسر الواحد من الثانية والكسر

الآخر الذى يليه . (لحظة صمت) لماذا أثير هـذا الموضوع مرة ثانية ؟ (لحظة صمت) هناك القليل مما يستطيع الانسان أن يثيره ، فالانسان يثير كل الموضوعات (صمت) كل ما يستطيع أن يثيره من موضوعات . (لحظة صمت) رقبتى تؤلمنى ! (تسود لحظة صمت ، ثم بعنف مفاجىء) رقبتى تؤلمنى ! (لحظة صمت) آه ، هذا أفضـــل ! (وباســتثارة خفيفة) كل شيء في حدود العقل . (تسود فترة صمت طويلة) لا أستطيع أن أعمل أكثر من ذلك . (لحظة صمت) ولا أقول أكثر من ذلك . (لحظة صمت) ولكن ينبغى على أن أقول أكثر من ذلك . (لحظة صمت) وهنا تنشأ المشكلة . (لحظة صمت) لا ، شيء ما لابد أن يتحرك ، فى العالم ، ولكننى لا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك (لحظة صمت) رياح الغرب . (لحظة صمت) نسمة الحياة . (لحظة صمت) ما هى تلك الأبيات الخالدة ؟ (لحظة صمت) لابد أنها الظلام الأبدى . (لحظة صمت) ليل حالك بلا نهاية . (لحظة صمت) مجرد صـــدفة ، فى تقديرى ، مجرد صدفة سعيدة . (لحظة صمت) أوه ، نعم ، رحمات واسعة . (تسود فترة صمت طويلة) والآن ؟ (لحظة صمت) والآن يا ويلى ؟ (تسود فترة صمت طويلة) فى ذلك اليوم . (لحظة صمت) حيث الشراب الفـــوار ، الوردى اللون .

(لحظة صمت) والأكواب المزخرفة . (لحظة صمت) ورحيل الضيف الأخير . (لحظة صمت) والكأس الأخيرة المترعة ، وجسدانا يتلامسان تقريبا (لحظة صمت) والنظرة (صمت طويل) أى يوم ؟ (صمت طويل) وأى نظرة ؟ (تسود فترة صمت طويلة) اننى أسمع صيحات (لحظة صمت) غنى (لحظة صمت) غن أغنيتك القديمة يا وينى . (تسود فترة طويلة من الصمت ، وفجأة يعلوها تعبير اليقظة ، ثم تحول عينيها ناحية اليمين . تظهر رأس ويللى ، عن يمينها ناحية الربوة ، يرى جاثيا على كل أطرافه الأربعة ، مرتديا أبهى ملابسه - القبعة المدببة ، ومعطف الصباح ، والبنطلون المخطط ، وفى يده قفاز أبيض ، كما يرى له شارب كثيف طويل جدا ، يطلقون عليه اسم « معركة بريطانيا » ، يشب ، ويرنو ببصره الى الأمام ، ويتحسس شاربه ، يبزغ تماما من وراء الربوة ، ويتجه الى يساره ، يشب ويطل على كل أطرافه الأربعة تجاه الوسط ، يشب ويدير رأسه الى الأمام ، ويرنو ببصره الى الأمام ، يبرم شاربه ويسوى رباط العنق ، ويعدل القبعة ، ويتقدم أكثر قليلا ، يشب ثم يخلع القبعة ، ويطل على وينى ، وهو الآن ليس بعيدا عن منطقة الوسط ، وداخل مجال الرؤية بالنسبة لها ، وهو اذ لا يقدر على بذل الجهد لكى يظل ناظرا الى أعلى ، يدلى برأسه تجاه الأرض) .

ويني : (بابتهاج) أوه ، يالها من سعادة غير متوقعة !
(تسود لحظة صمت) انها تذكرني باليوم الذى جئتنى
فيه تبكى طالبا يدى . (تسود لحظة صمت) اننى
أعبدك يا وينى ، فكونى لى . (يطل عليها) اننى
كالأضحوكة بدون « رنين » (تنفجر فى قهقهة
يالهيئتك ! انك تبدو حسن المنظر ! (تقهقه) أين
هى الزهور ؟ (تسود لحظة صمت) وابتسامة ذلك
اليوم ؟ (يدلى ويللى برأسه) ما هذا الذى فوق
رقبتك ؟ مرض الحمرة ؟ (تسود لحظة صمت) ينبغى
أن تهتم بذلك يا ويللى قبل أن يتمكن منك . (تسود
لحظة صمت) أين كنت طول هذا الوقت ؟ (لحظة
صمت) وما الذى كنت تعمله طول هذا الوقت ؟
(لحظة صمت) هل كنت تغير ملابسك ؟ (لحظة
صمت) ألم تسمعنى أصرخ وأنا أنادى عليك ؟
(لحظة صمت) أم تراك انحشرت فى جحرك
(لحظة صمت ، ثم يطل عليها) هذا صحيح يا ويللى ،
هيا أنظر الى (تسود لحظة صمت) وتقع عينيك
الباليتين ، يا ويللى . (تسود لحظة صمت) ترى
هل يتبقى أى شىء ؟ (صمت) أية متبقيات ؟
(تسود لحظة صمت) لا ؟ (تسود لحظة صمت) لم
يكن فى استطاعتى كما تعلم ، أن أهتم بهذا الأمر .
(يدلى برأسه) مازال فى الامكان التعرف عليك ،
على أية حال . (تسود لحظة صمت) هل تفكر

الآن فى أن تأتى لتعيش في هذه الناحية ، ربما لفترة من الوقت ؟ (تسود لحظة صمت) لا ؟ (تســود لحظة صمت) هل هى مجرد زيارة قصيرة ؟ (تسود لحظة صمت) هل أصبت بالصمم يا ويللى ؟ (تسود لحظة صمت) والبكم ؟ (تسود لحظة صمت) أوه ، أعرف انك لم تكن أبدا الانسان الذى يتكلم ، انى أعبدك يا وينى ، فكونى لى ، من اليوم فصاعدا ، لا شيء سوى شذرات « رينولاز نيوز » . (تتجه بعينيها الى الأمام ، وتسود لحظة صــــمت) آه ، لا بأس ، فماذا يهم ؟ هذا ما أقوله دائما ، سيكون هذا اليوم يوما سعيدا مضى، على أية حال، يوم سعيد آخر . (تسود لحظة صمت) لن يطول الوقت الآن ، يا وينى (تسود لحظة صمت) اننى أسمع صرخات . (تسود لحظة صمت) هل تســـمع أى صرخات ، يا ويللى ؟ (تسود لحظة صمت) لا ؟ (تعود بعينيها ناحية ويللى) ويللى . (تسود لحظة صمت) أنظر الى ثانية يا ويللى . (تسود لحظة صمت) مرة أخرى يا ويللى . (يطل عليها ، فتقول بســـعادة) آه ! (تسود لحظة صمت ، ثم بذعر وفجيعة) ما الذى يؤلمك يا ويللى ؟ اننى لم أر على وجهك أبدا مثل هذا التعبير ! (تسود لحظة صمت) البس قبعتك ياعزيزى فانها الشمس ، ولا تقم بيننا الكلفة ، فهذا أمر لا يهمنى . (يخلع القبعة والقفاز ، ويشرع فى

الزحف الى أعلى الربوة ، متجها نحوها فتقول بسرور
وطرب) أوه ، أقول ان هذا شيء هائل ! يشب ، ثم
يتعلق بالربوة باحدى يديه ، ليصل اليها باليد
الأخرى) تعال يا عزيزى ، وسأدخل عليك السرور ٠
(تسود لحظة صمت) هل هى أنا التى تسعى اليها ،
يا ويللى ٠٠ أم هى شيء آخر (تسود لحظة صمت)
هل تريد أن تلمس وجهى مرة ثانية ؟ (تسود لحظة
صمت) هل هى قبلة تلك التى تسعى اليهـــا
يا ويللى ٠٠ أم هى شيء آخر ؟ (تسود لحظة صمت)
كان ذلك منذ وقت مضى ، عندما كنت قادرة على أن
أساعدك ٠ (تسود لحظة صمت) ثم مضى على ذلك
وقت آخر ، كنت أســـتطيع أن أساعدك فيه ٠
(تسود لحظة صمت) لقد كنت دائما فى أشد الحاجة
الى المساعدة يا ويللى (ينزلق راجعا الى أسفل الى
سفح الربوة ، ويستلقى بوجهه على الأرض) بررررم !
(تسود لحظة صمت ، ثم ينهض على يديه وركبتيه ،
ويرفع وجهه تجاه وينى) حاول مرة أخرى يا ويللى ،
وسأدخل عليك السرور ٠ (تسود لحظة صمت)
لا تنظر الى هكذا ! (تسود لحظة صمت ، ثم تقول
بعنف) لا تنظر الى هكذا ! (تسود لحظة صمت ،
ثم تقول بصوت خفيض) هل فقدت صوابك ياويللى ؟
(لحظة صمت) هل فقدت صوابك القديم ، يا ويللى ؟
(تسود لحظة صمت) ٠

ويللى : (بصوت يكاد يسمع) وينى !

(تسود لحظة صمت ، تتجه وينى بعينيها الى الأمام ، يبدو عليها تعبير السعادة ، ويأخذ فى الازدياد) .

وينى : وين ! (تسود لحظة صمت) أوه ، ان هذا اليوم ليوم سعيد ، سيكون هذا اليوم يوما سعيدا مضى !

(تسود لحظة صمت) فى النهاية . (تسود لحظة صمت) حتى هذه اللحظة .

(تسود لحظة صمت ، ثم تدندن على سبيل التجربة ، مترنمة بمطلع أغنية من الأغانى ، وبعد ذلك تغنى برقة ونعـومة على أنغام لحن من ألحان صـــندوق الموسيقا) :

مع أنى قلت لا

لما قد لا

تسمعه يا صديقى ،

فقد أخذت أنوح

وأخذ الرقص يبوح

أحبنى يا رفيقى !

كل لمسة اصبع .. منك

تقول لى ما أعرف عنك

وتقول لك ،

هل صحيح •• هل صحيح ••

أنك تحبنى يا حبيبى

(تسود لحظة صمت ، ثم تدند   ن السعادة ، وتغمض عينيها ، يرن الجرس   ال ، فتفتح عينيها ، ثم تبتسم ، وترنو ببصرها الى الأمام ، تدير عينيها ، وهى لا تزال تبتسم الى ويلى ، الذى يظل جاثيا على يديه وركبتيه وهو يطل عليها ، تكف وينى عن الابتسام ، وينظر كلاهما الى الآخر ، ثم تسود فترة صمت طويلة •• بعدها) •

يسدل الستار

« انتهت »

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٧/٣٨١٠

ISBN ٩٧٧ ٢٠١ ٢٢٦ ٠



مطابع الهيئة المصرية ال

٣٥ قرشـــا

Bibliotheca Alexandrina
0222155